

الأجيال في الخليج العربي: تأثير الثقافة والسلوك على بناء الشخصية من الثمانينات حتى اليوم

إعداد الطالب : أحمد الريسي

باحث دكتوراه في علوم التربية

بالتعاون مع / الدكتورة مريم خير الدين

أستاذة التعليم العالي في علوم التربية

جامعة قرطاج - المعهد العالي لإطارات الطفولة بقرطاج درمش

الملخص العربي

يهدف هذا المقال إلى تحليل تأثير التحولات الثقافية والسلوكية التي شهدتها مجتمعات الخليج العربي منذ ثمانينات القرن الماضي حتى اليوم في بناء الشخصية عبر الأجيال المتعاقبة، من خلال تتبع الفروق في منظومة القيم وأنماط السلوك وتمثيلات الهوية والانتماء. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بالاستناد إلى مراجعة الأدبيات السوسولوجية والتربوية ذات الصلة، مع قراءة مقارنة لخصائص ثلاثة أجيال رئيسة: جيل الثمانينات، وجيل التسعينات وبداية الألفية، والجيل الرقمي المعاصر. وتُظهر النتائج حدوث انتقال تدريجي في بناء الشخصية من نموذج قائم على الجماعية والانضباط والاستقرار القيمي لدى جيل الثمانينات، إلى نموذج يتسم بالتكيف وازدواج المرجعيات لدى جيل التسعينات وبداية الألفية، وصولاً إلى نموذج أكثر فردانية وسيولة في القيم والهوية لدى الجيل الرقمي، مع بروز تحديات نفسية واجتماعية مثل القلق الهوياتي وضعف الاستقرار القيمي. ويخلص المقال إلى أن فهم ديناميات الأجيال في الخليج العربي يتطلب مقاربة تكاملية تربط بين الثقافة والسلوك والبعد النفسي بما يدعم صياغة تدخلات تربوية وثقافية أكثر استجابة للتحولات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الأجيال، الخليج العربي، الثقافة، السلوك الاجتماعي، بناء الشخصية.



## Abstract

This article aims to analyze the impact of cultural and behavioral transformations in Gulf Arab societies since the 1980s on personality formation across successive generations, focusing on differences in values, social behavior, and representations of identity and belonging. The study adopts a descriptive-analytical approach based on a review of relevant sociological and educational literature, combined with a comparative reading of three major generations: the 1980s generation, the 1990s/early 2000s generation, and the contemporary digital generation. The findings reveal a gradual shift in personality formation from a collectivist and value-stable model among the 1980s generation to a transitional model characterized by adaptation and value duality among the 1990s/early 2000s generation, and finally to a more individualized and fluid value structure among the digital generation. The results also indicate emerging psychological and social challenges, including identity anxiety and reduced value stability. The article concludes that understanding generational dynamics in the Gulf requires an integrative framework linking culture, behavior, and psychological dimensions to support more effective educational and cultural interventions.

Keywords: Generations, Gulf Arab Societies, Culture, Social Behavior, Personality Formation.

## مقدمة

تشكل التحولات الثقافية والاجتماعية التي عرفتها مجتمعات الخليج العربي منذ ثمانينات القرن الماضي إحدى أبرز الإشكاليات التي استأثرت باهتمام الباحثين في مجالات علم الاجتماع التربوي وعلم النفس الاجتماعي، بالنظر إلى ما أحدثته من تغييرات عميقة في أنماط السلوك، ومنظومات القيم، وطرائق بناء الشخصية عبر الأجيال المتعاقبة (العامري، 2018؛ وزارة الثقافة والشباب، 2023). فقد شهدت المنطقة الخليجية انتقالاً سريعاً ومركباً من أنماط عيش تقليدية كانت تتسم بوضوح المرجعيات القيمية، ومركزية الجماعة والأسرة الممتدة، إلى سياقات اجتماعية حديثة اتسمت بتسارع النمو الاقتصادي، واتساع أنماط الاستهلاك، ثم الانفتاح الإعلامي الواسع، وصولاً إلى مرحلة التحول الرقمي التي أعادت تشكيل العلاقات الاجتماعية ومعايير التفاعل اليومي (بن راشد، 2019؛ مركز الشباب العربي، 2021). ويُعد هذا التحول السريع عاملاً حاسماً في تفسير طبيعة التغيير الذي طرأ على البناء القيمي والسلوكي في المجتمع الخليجي، حيث لم تعد الشخصية تُبنى داخل إطار ثقافي واحد ثابت، بل أصبحت نتاجاً لتفاعل معقد بين ثقافة تقليدية متجذرة، ومؤثرات حديثة متغيرة فرضتها العولمة ووسائل الاتصال الحديثة (Inglehart & Bauman, 2018; Welzel, 2018).

إن الحديث عن التحولات في الخليج العربي لا يقتصر على وصف مظاهر التحديث العمراني أو التطور الاقتصادي، بل يمتد إلى تحليل التحول في النسق الثقافي الذي يوجّه سلوك الأفراد ويحدد أنماط انتمائهم، ويؤطر علاقتهم بالأسرة والعمل والمجتمع (Giddens, 2019). ففي المجتمعات التقليدية، كان بناء الشخصية غالباً ما يتم في إطار من الانسجام النسبي بين القيم المعلنة والقيم الممارسة، إذ تتقاطع التربية الأسرية مع المؤسسة التعليمية والخطاب الديني والاجتماعي ضمن منظومة واحدة تعزز الامتثال، وتدعم الاستقرار القيمي، وتمنح الفرد شعوراً واضحاً بالهوية والانتماء. غير أن هذا النسق شهد تغيراً تدريجياً بفعل الانفتاح الإعلامي وتعدد مصادر التنشئة، حيث أصبح الفرد الخليجي، وخاصة الأجيال الجديدة، يتلقى رسائل ثقافية متباينة ومتناقضة أحياناً، وهو ما أدى إلى تراجع وحدة المرجعية القيمية لصالح تعددية المرجعيات ومرونة المعايير (الشمري، 2020؛ Castells, 2017). ويؤكد هذا السياق أن التنشئة الاجتماعية لم تعد حكراً على الأسرة أو المدرسة، بل أصبحت موزعة بين مؤسسات رسمية وغير رسمية، وعلى رأسها منصات الإعلام الرقمي ووسائل التواصل الاجتماعي التي تمارس تأثيراً مباشراً على إدراك الذات وبناء الاتجاهات (الخليفي، 2022؛ Twenge, 2020).

وتتضح هذه التحولات بصورة أكثر عمقاً عند اعتماد منظور التحليل الجيلي الذي يميز بين الأجيال وفق السياقات التاريخية والثقافية التي نشأت فيها. إذ يلاحظ أن جيل الثمانينات، مثلاً، تشكلت شخصيته في سياق اجتماعي يقوم على الانضباط الاجتماعي واحترام السلطة الأسرية، والالتزام بالقيم الجماعية، وهو ما انعكس على نمط بناء شخصية أكثر اتساقاً في علاقتها بالهوية والانتماء والاستقرار النفسي (العامري، 2018). أما جيل التسعينات وبداية الألفية، فقد نشأ في بيئة انتقالية اتسمت بازدواجية مرجعية جمعت بين المحافظة والانفتاح، وبين القيم المحلية والتأثيرات العالمية، الأمر الذي أفرز أنماطاً من التكيف السلوكي المتردد أو المزوج في بعض الأحيان (الشمري، 2020؛ بن راشد، 2019). ثم جاء الجيل الرقمي المعاصر الذي تبلورت شخصيته في سياق مختلف جذرياً تحكمه التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي وتراجع الضبط الاجتماعي التقليدي، وبروز نزعة الفردانية بوصفها سمة ثقافية وسلوكية بارزة، بما انعكس على أنماط الانتماء والعلاقات الاجتماعية وألويات الذات (الخليفي، 2022؛ Twenge, 2020).

إن هذه التحولات لا تعني بالضرورة انهيار القيم أو غياب الهوية، بل تشير إلى إعادة تشكيلها في ظل ظروف اجتماعية جديدة تتطلب من الفرد بناء توازن مستمر بين المرجعيات المتعددة، وهو ما يجعل تحليل بناء الشخصية في الخليج العربي عملية تتجاوز التفسير المبسط الذي يرد الظاهرة إلى "صراع أجيال" أو "أزمة قيم" فقط. فالتحول الجيلي يمثل مساراً تاريخياً وثقافياً معقداً يتداخل فيه الاقتصادي بالإعلامي، والرمزي بالعملية، والتربوي بالنفسي، الأمر الذي يستدعي مقاربات تحليلية شمولية تربط بين الثقافة والسلوك والهوية بوصفها عناصر متداخلة في تشكيل الشخصية عبر الزمن (Bauman, 2018؛ Giddens, 2019). ويظهر تحليل الممارسات الاجتماعية والسلوكية المرتبطة بهذه التحولات أن الاختلافات بين الأجيال في الخليج العربي لا تقتصر على مظاهر سطحية تتعلق بأساليب اللباس أو أنماط الترفيه أو تفضيلات الاستهلاك الثقافي، بل تمتد إلى البنية العميقة للشخصية بما تحمله من منظومة قيم وأنماط تمثل للذات واستجابات نفسية واجتماعية تجاه الأسرة والمجتمع والعمل (العتيبي، 2021؛ Giddens, 2019). فقد أدى تغير أساليب التنشئة وتحويل أدوار الأسرة وتبدل المرجعيات الثقافية إلى إعادة تشكيل مفاهيم مثل السلطة والانتماء والهوية والاستقرار النفسي لدى الأجيال الصاعدة، بحيث أصبحت الشخصية تتكون داخل فضاء اجتماعي متغير، يفرض على الفرد إعادة التفاوض المستمر مع القيم والمعايير (الشمري، 2020). وفي هذا السياق، لا يمكن فهم بناء الشخصية الخليجية بمعزل عن العلاقة الوثيقة بين الثقافة والسلوك،

إذ يشكلان معاً الإطار التفسيري لفهم كيفية تشكل الاتجاهات واكتساب القيم وبناء أنماط التفاعل الاجتماعي داخل المجتمع الخليجي المعاصر (بن راشد، 2019).

إن مفهوم الثقافة في التحليل الاجتماعي لا يقتصر على المعارف أو الرموز، بل يشمل منظومة من القيم والمعايير التي تحدد ما يُعد مقبولاً أو مرفوضاً، وما يُعتبر معياراً للنجاح أو للفشل، وما يُصاغ باعتباره هوية جمعية مشتركة. وعندما يحدث تحول ثقافي سريع، فإن الأفراد لا يتغيرون فقط في سلوكهم، بل تتغير أيضاً طريقة تفسيرهم للواقع ولذواتهم (Inglehart & Welzel, 2018). ومن هنا يمكن القول إن التحولات التي شهدتها الخليج العربي خلال العقود الأخيرة أسهمت في خلق بيئة ثقافية متعددة المرجعيات، يتداخل فيها المحلي بالعالمي، والديني بالمدني، والأسري بالفردى، وهو ما يجعل بناء الشخصية عملية أكثر تعقيداً من ذي قبل (Bauman, 2018). فالفرد الخليجي لم يعد يتلقى القيم عبر قنوات محددة وثابتة، بل أصبح يعيش داخل فضاء مفتوح من الخطابات المتنافسة، الأمر الذي أدى إلى إعادة تشكيل العلاقة بين الفرد والجماعة، وبين الخصوصية والانتماء، وبين الاستقلالية والضبط الاجتماعي (Giddens, 2019).

وتبرز أهمية التحول الرقمي هنا باعتباره ليس مجرد أداة تقنية، بل سياق اجتماعي جديد يعيد تشكيل معايير التفاعل والتنشئة. فوسائل التواصل الاجتماعي أصبحت تمارس دوراً موازياً - وأحياناً منافساً - لدور الأسرة والمدرسة في توجيه القيم والسلوك، عبر ما تقدمه من نماذج للنجاح والهوية والمكانة الاجتماعية (Twenge, 2020)؛ وفي المجتمعات الخليجية، يظهر أثر هذا التحول بوضوح في تغير أنماط العلاقة بالسلطة، إذ تراجعت بعض أشكال الضبط التقليدي لصالح أشكال جديدة من الضبط الرمزي القائم على المقارنة الاجتماعية والبحث عن القبول والاعتراف الرقمي. وهذا بدوره انعكس على مفهوم الذات لدى الشباب، وعلى طريقة إدراكهم لحدود الحرية والمسؤولية والانتماء (الخليفي، 2022؛ العتيبي، 2021). ومن منظور تربوي، ترتبط هذه التحولات بتحويلات موازية في طبيعة المؤسسة التعليمية والخطاب التربوي. فالتعليم الحديث في الخليج، رغم ما حققه من توسع كمي ونوعي، يواجه تحدياً يتمثل في الفجوة بين ما يقدمه من قيم معيارية وبين ما يعيشه المتعلم في فضائه الاجتماعي الرقمي، وهو ما قد ينتج ازدواجية في المرجعية بين خطاب رسمي يركز على قيم الجماعة والانتماء، وخطاب رقمي يعزز الفردانية والتنافس الرمزي (وزارة الثقافة والشباب، 2023؛ مركز الشباب العربي، 2021). ويؤدي هذا التباين إلى بروز أنماط سلوكية تتسم بالتكيف السريع، لكنها قد تنفتقر إلى الاستقرار القيمي طويل المدى، الأمر الذي

ينعكس على بناء الشخصية وعلى القدرة على اتخاذ القرار وتحديد الأولويات (Arnett, 2016). ورغم تنامي الاهتمام بدراسة التحولات الاجتماعية في الخليج العربي، لا تزال معالجة مسألة الأجيال وبناء الشخصية تميل في كثير من الأحيان إلى مقاربات وصفية أو تجزئية تركز على مظاهر التغير دون التعمق في تحليل العلاقة البنوية بين الثقافة والسلوك والشخصية. كما أن بعض القراءات تحتزل التغير الجيلي في كونه صراع أجيال أو أزمة قيم، دون النظر إليه بوصفه نتاجًا طبيعيًا لمسار تاريخي وثقافي معقد (العامري، 2018؛ بن راشد، 2019). ويؤدي هذا النمط من التحليل إلى قراءات جزئية لا تعكس عمق التحول الاجتماعي الخليجي، ولا تتيح فهمًا دقيقًا للتحديات التربوية والنفسية التي تواجه الأجيال الجديدة في ظل التحولات المتسارعة (العتيبي، 2021). ومن هنا تظهر ضرورة بناء تحليل علمي يربط بين السياق الثقافي والتنشئة الاجتماعية والتحول الرقمي بوصفها عناصر متداخلة في تفسير بناء الشخصية عبر الأجيال.

ويكشف هذا الواقع عن قصور واضح في المقاربات الأحادية التي تحاول تفسير التحولات الجيلية في الخليج العربي من منظور ثقافي صرف أو سلوكي منفصل، دون النظر إلى التفاعل العميق القائم بين الثقافة والسلوك في تشكيل بناء الشخصية عبر الزمن. فالنظر إلى التغير الجيلي بوصفه مجرد تحول في القيم أو تغييرًا سلوكيًا معزولاً عن سياقه الثقافي يؤدي إلى قراءات جزئية لا تعكس الطبيعة المركبة للتحول الاجتماعي الخليجي (Bauman, 2018؛ Giddens, 2019). ويرز من هنا ضرورة اعتماد مقاربة تحليلية شمولية تنظر إلى بناء الشخصية بوصفه عملية دينامية يتداخل فيها النسق الثقافي مع الممارسات السلوكية داخل سياقات اجتماعية متغيرة، بما يسمح بفهم أعمق للفروق بين الأجيال المتعاقبة منذ الثمانينات حتى اليوم (الشمري، 2020). وفي هذا الإطار، يتيح المدخل الجيلي إطارًا تحليليًا يساعد على فهم كيفية تشكّل أنماط التفكير والسلوك لدى كل جيل في ضوء الظروف التاريخية والثقافية التي نشأ فيها، بدءًا من جيل الثمانينات الذي تشكّل في ظل مرجعيات تقليدية مستقرة، وصولًا إلى الجيل الرقمي الذي نشأ في سياق عالمي مفتوح تحكمه التكنولوجيا وتعدد المرجعيات (Arnett, 2016؛ Twenge, 2020).

ويُعد اعتماد منظور الأجيال مدخلًا مناسبًا لفهم طبيعة التحول الاجتماعي الخليجي، لأن الأجيال لا تتحدد فقط وفق الفئة العمرية، بل وفق "الخبرة التاريخية المشتركة" التي عايشها الأفراد في مراحل التنشئة. ومن هذا المنطلق، فإن جيل الثمانينات على سبيل المثال تشكّل في سياق كانت فيه الأسرة الممتدة أكثر حضورًا، وكانت المؤسسة الدينية

والثقافية تمارس دورًا قويًا في توجيه القيم والسلوك، وكان الانتماء للجماعة أحد عناصر الاستقرار النفسي والاجتماعي. في المقابل، فإن جيل التسعينات وبداية الألفية عاش مرحلة انتقالية اتسمت بتسارع التحديث وتوسع الإعلام، مما أدى إلى ازدواج المرجعيات بين التقليدي والحديث، وبين المحلي والعالمي، وهو ما انعكس على أنماط التكيف السلوكي وعلى بنية الهوية (العامري، 2018؛ بن راشد، 2019). أما الجيل الرقمي المعاصر فقد نشأ في سياق تكنولوجي كثيف، حيث أصبحت منصات التواصل الاجتماعي وسيطاً مركزياً في بناء الاتجاهات وصياغة التصورات عن الذات والآخر، بما أدى إلى تعميق النزعة الفردانية وإعادة تعريف مفهوم المكانة الاجتماعية والانتماء (الخليفي، 2022؛ Castells, 2017).

ومن جهة أخرى، يوفر التحليل السلوكي منظورًا مكتملاً يركز على الممارسات اليومية وأنماط التفاعل الاجتماعي وأساليب التنشئة، التي تعكس بصورة ملموسة أثر الثقافة في السلوك، وتُظهر كيف تنتقل القيم من مستوى الخطاب إلى مستوى الممارسة. فالسلوك لا يُقرأ بوصفه نتيجة تلقائية للقيم، بل بوصفه ترجمة عملية تتأثر بدرجة الاستيعاب الثقافي وبالضغوط الاجتماعية وبأنماط الضبط أو التحرر داخل المجتمع (Giddens, 2019). كما أن التحولات السلوكية التي ظهرت لدى الأجيال الجديدة، مثل ارتفاع النزعة نحو الاستقلالية، أو تغير العلاقة بالأسرة، أو الميل إلى بناء شبكات اجتماعية رقمية بديلة، لا يمكن فهمها دون تحليل التحولات في البنية الثقافية التي أعادت تعريف مفهوم السلطة والخصوصية والانتماء (Bauman, 2018؛ Twenge, 2020).

ويتيح الجمع بين التحليل الثقافي والتحليل السلوكي بناء قراءة أكثر دقة وواقعية للتحولات التي مست الشخصية الخليجية عبر الأجيال، حيث يعكس هذا التكامل التفاعل الفعلي بين ما هو رمزي وقيمي من جهة، وما هو عملي وسلوكي من جهة أخرى، داخل السياق الاجتماعي الخليجي. كما يسمح هذا المدخل بتجاوز التفسيرات السطحية التي تحتل التغيير الجيلي في مظاهر خارجية، نحو تحليل الأسباب البنوية العميقة المرتبطة بسرعة التحول الاجتماعي وتغير أنماط التنشئة وتبدل أدوار الأسرة والمؤسسات الثقافية والتعليمية (وزارة الثقافة والشباب، 2023؛ مركز الشباب العربي، 2021). وانطلاقاً من هذا التصور، يسعى هذا المقال إلى تحليل تأثير التحولات الثقافية والسلوكية على بناء الشخصية عبر الأجيال في الخليج العربي من خلال مقارنة تكاملية تربط بين الخصائص الجيلية والسياقات الثقافية التي أنتجتها، في ظل محدودية الدراسات التي تناولت مسألة الأجيال في الخليج من زاوية تحليلية تجمع بين البعدين الثقافي والسلوكي بصورة منهجية (العتيبي، 2021؛ الشمري، 2020). ومن ثم، يمثل هذا المقال محاولة

لتقديم قراءة تحليلية تسهم في بناء فهم أعمق لديناميات التغيير الجيلي في المجتمع الخليجي، وتدعم تطوير رؤى تربوية وثقافية أكثر وعيًا بتحديات الاستقرار القيمي والتوازن النفسي لدى الأجيال الصاعدة في ظل التحولات المعاصرة (Inglehart & Welzel, 2018؛ Twenge, 2020).

مشكلة الدراسة وأهميتها

تحدد مشكلة هذا المقال في التحولات العميقة التي شهدتها مجتمعات الخليج العربي منذ ثمانينات القرن الماضي، وما نتج عنها من تباين واضح في بناء الشخصية بين الأجيال المتعاقبة، سواء على مستوى القيم، أو أنماط السلوك، أو تمثلات الهوية والانتماء. فقد أفرزت التحولات الاقتصادية المتسارعة، والانفتاح الإعلامي، ثم التحول الرقمي، سياقات اجتماعية وثقافية متباينة نشأت في ظلها أجيال مختلفة، لكل منها منظومتها المرجعية الخاصة في التفكير والتفاعل مع الأسرة والمجتمع والعمل. ويظهر هذا التباين في الواقع الاجتماعي من خلال اختلاف أنماط السلوك اليومي، وتباين تصورات الذات والآخر، وتعدد أنماط العلاقة بالسلطة والقيم، بما يعكس تحولات بنوية في مسار التنشئة الاجتماعية داخل المجتمع الخليجي. وتتجلى هذه المشكلة بوضوح عند تحليل الفروق بين جيل الثمانينات الذي تشكلت شخصيته في سياق ثقافة جماعية مستقرة نسبيًا، وجيل التسعينات وبداية الألفية الذي نشأ في مرحلة انتقالية اتسمت بازدواجية المرجعيات القيمية، والجيل الرقمي المعاصر الذي تبلورت شخصيته في ظل هيمنة التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي. ويبرز هذا الاختلاف في أنماط السلوك الاجتماعي، ومستويات الاستقلالية الفردية، وطريقة تمثيل القيم، وأساليب بناء العلاقات الاجتماعية، حيث تظهر أحيانًا مظاهر من التوتر أو عدم الاتساق القيمي بين الأجيال، ناتجة عن اختلاف السياقات الثقافية التي أنتجت كل جيل، وهو ما يشير إلى أن بناء الشخصية في الخليج العربي لم يعد عملية متجانسة أو خطية، بل مسارًا معقدًا يتأثر بتداخل عوامل ثقافية وسلوكية ونفسية متغيرة.

وانطلاقًا من ذلك، تتمثل الإشكالية الرئيسة لهذا المقال في محاولة فهم طبيعة العلاقة بين التحول الثقافي والسلوكي وبين أنماط تشكل الشخصية لدى الأجيال الخليجية المختلفة، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: كيف أثرت التحولات الثقافية والسلوكية في مجتمعات الخليج العربي منذ ثمانينات القرن الماضي حتى اليوم في بناء الشخصية عبر الأجيال المتعاقبة؟

ولإجابة عن هذا السؤال الرئيس، تنبثق الأسئلة الفرعية الآتية:

- (1) ما أبرز التحولات الثقافية والاجتماعية التي عرفتها مجتمعات الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم؟
- (2) كيف انعكست هذه التحولات على منظومة القيم وأساليب التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة والمؤسسات التربوية؟ (3) ما أهم الفروق السلوكية والقيمية بين جيل الثمانينات، وجيل التسعينات وبداية الألفية، والجيل الرقمي المعاصر؟ (4) ما طبيعة التحولات التي طرأت على الهوية والانتماء وتمثل الذات لدى كل جيل في السياق الخليجي؟ (5) إلى أي مدى يسهم البعد النفسي والانفعالي، مثل القلق الهوياتي وضعف الاستقرار القيمي، في تفسير التحولات في بناء الشخصية لدى الأجيال الجديدة؟

وتزداد حدة هذه الإشكالية مع تسارع وتيرة التغير الثقافي، حيث يُلاحظ أن بعض الأجيال الجديدة تواجه صعوبات في تحقيق الاستقرار القيمي والتوازن النفسي، نتيجة تعدد المرجعيات الثقافية وتراجع أدوار الضبط الاجتماعي التقليدية، لا سيما الأسرة والمؤسسات التربوية. كما تكشف الملاحظات الاجتماعية عن بروز أنماط سلوكية جديدة تتسم بالفردانية، وتسارع الإيقاع الحياتي، وتغير أولويات الانتماء والعمل، وهو ما ينعكس على طبيعة بناء الشخصية وعلى أساليب التفاعل الاجتماعي. ومع تراكم هذه التحولات، تتحول الفجوة الجيلية من مجرد اختلاف طبيعي في الخبرات إلى إشكالية اجتماعية وتربوية تستدعي التحليل والتفسير العلمي. وتكمن خطورة هذه المشكلة في أن كثيراً من المقاربات السائدة تميل إلى تفسير التحول الجيلي إما بوصفه أزمة قيم أو بوصفه صراع أجيال، دون التعمق في تحليل العلاقة البنوية بين الثقافة والسلوك وبناء الشخصية. كما أن بعض التحليلات تختزل الظاهرة في مظاهر سلوكية سطحية مرتبطة باستخدام التكنولوجيا أو أنماط الاستهلاك، دون ربطها بالسياقات الثقافية والاجتماعية التي أنتجتها، وهو ما يؤدي إلى قراءات جزئية لا تعكس تعقيد الواقع الخليجي، ولا تسهم في بناء فهم علمي يساعد على التعامل مع التحديات التربوية والنفسية المرتبطة بالأجيال الجديدة. وتنبع الأهمية العلمية لهذا المقال من سعيه إلى تقديم مقارنة تحليلية تكاملية لفهم التحولات الجيلية في الخليج العربي، تجمع بين تحليل الثقافة بوصفها نسقاً قيمياً ورمزياً، وتحليل السلوك بوصفه تجسيداً عملياً لهذه القيم في الحياة اليومية، بما يسمح بفهم أعمق لكيفية تشكّل الشخصية عبر الأجيال. ويسهم هذا التوجه في إثراء الأدبيات السوسولوجية والتربوية العربية من خلال تجاوز الطروحات الوصفية أو الانطباعية، والانتقال نحو تحليل بنوي يفسر التغير الجيلي في ضوء السياق الثقافي والتاريخي للمجتمع الخليجي. كما تكتسب الدراسة أهمية إضافية من خلال تركيزها على السياق الخليجي بوصفه سياقاً فريداً من حيث سرعة التحول الاجتماعي، وهو ما يجعل فهم ديناميات الأجيال وبناء الشخصية مدخلاً أساسياً لدعم السياسات التربوية

والثقافية الهادفة إلى تعزيز التوازن القيمي والاستقرار النفسي لدى الأجيال الصاعدة. أما الأهمية التطبيقية لهذا المقال، فتتجلى في ما يمكن أن تقدمه نتائجه من مؤشرات تحليلية عملية تساعد الفاعلين التربويين والثقافيين وصناع القرار على فهم أنماط الاختلاف الجيلي في المجتمع الخليجي وربطها بالتحويلات الثقافية والسلوكية التي أثرت في بناء الشخصية عبر الزمن، بما يساهم في توجيه البرامج التربوية والثقافية نحو تبني مقاربات أكثر وعياً بخصوصيات كل جيل، وتعزيز التواصل القيمي بين الأجيال داخل المجتمع الخليجي.

#### الأهداف

ينطلق تحديد أهداف هذه الورقة البحثية من الإشكالية المركزية التي تتمحور حول فهم التحويلات التي شهدتها مجتمعات الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم، وكيف انعكست هذه التحويلات على العلاقة بين الثقافة بوصفها نسقاً من القيم والرموز والمعايير، وبين السلوك بوصفه ممارسة يومية وتحميلاً عملياً لهذه القيم داخل الواقع الاجتماعي، وصولاً إلى أثر ذلك في بناء الشخصية عبر الأجيال المتعاقبة. فالملاحظ أن الثقافة الخليجية لم تبقى ثابتة على نمط واحد، بل عرفت انتقالات متسارعة بفعل التغير الاقتصادي والاجتماعي والانفتاح الإعلامي والعولمة والتكنولوجيا، وهو ما أدى إلى تبدل المرجعيات التي تتشكل داخلها أنماط السلوك، وبالتالي إعادة تشكيل السمات العامة للشخصية من جيل إلى آخر. وتزداد أهمية هذا التحديد للأهداف عندما ندرك أن كثيراً من النقاشات المتداولة حول "الفجوة بين الأجيال" تميل إلى التفسير الانطباعي أو الأخلاقي، فتختزل التحويلات في صورة "صراع قيم" أو "تراجع سلوكي"، دون بناء فهم علمي يفسر آليات الانتقال من الثقافة إلى السلوك، ثم إلى تشكيل الشخصية. لذلك، تسعى هذه الورقة البحثية إلى ضبط الأهداف بصورة منهجية، بما يسمح بتحويل الإشكالية من مستوى الوصف العام إلى مستوى التحليل العلمي القابل للفهم والتفسير.

الهدف العام لهذه الورقة البحثية هو: تحليل تأثير التحويلات الثقافية والسلوكية في مجتمعات الخليج العربي على بناء الشخصية عبر الأجيال المتعاقبة منذ الثمانينات حتى اليوم، من خلال تفسير العلاقة الدينامية بين النسق الثقافي المهيمن في كل مرحلة تاريخية، وأنماط السلوك الناتجة عنه، وانعكاس ذلك على ملامح الشخصية الفردية والاجتماعية (مثل الهوية، والانتماء، والاستقلالية، وأساليب التفاعل الاجتماعي). ويتفرع عن هذا الهدف العام مجموعة من الأهداف الفرعية التي تشغل على تفكيك عناصر الموضوع وتوضيح مساراته التفسيرية، بما يضمن قراءة أكثر عمقاً للظاهرة بعيداً عن التعميم أو التفسير الجزئي.

وتتمثل الأهداف الفرعية في الآتي:

- (1) تحديد مفهوم الثقافة في سياقه السوسولوجي داخل المجتمع الخليجي، وبيان مكوناته الأساسية مثل القيم والمعايير والرموز والخطاب الاجتماعي، مع إبراز كيف تغيرت هذه المكونات بفعل التحولات التاريخية منذ الثمانينات.
- (2) تحليل مفهوم السلوك الاجتماعي بوصفه انعكاسًا عمليًا للثقافة، ورصد أبرز التحولات السلوكية التي ظهرت عبر الأجيال، سواء في أنماط العلاقات الأسرية، أو أساليب التواصل، أو علاقة الفرد بالعمل والسلطة، أو شكل الانتماء الاجتماعي.
- (3) تفسير آليات التنشئة الاجتماعية التي تنقل الثقافة إلى السلوك وتؤثر في بناء الشخصية، مع التركيز على أدوار الأسرة، والمدرسة، والإعلام، وجماعة الأقران، والفضاء الرقمي في كل مرحلة.
- (4) إبراز الخصائص الجيلية لأجيال الخليج منذ الثمانينات (جيل الثمانينات، جيل التسعينات وبداية الألفية، الجيل الرقمي)، وشرح الفروق في المرجعيات الثقافية وأنماط السلوك بين هذه الأجيال، بدل الاكتفاء بالتصنيفات العامة غير الدقيقة.
- (5) تحليل أثر التحولات الثقافية والسلوكية على بناء الشخصية من حيث تشكيل الهوية الفردية والجماعية، ومستوى الاستقلالية، ومفهوم المسؤولية، وأساليب اتخاذ القرار، وطبيعة التفاعل مع القيم التقليدية والحديثة.
- (6) تفكيك مفهوم الفجوة الجيلية داخل المجتمع الخليجي بوصفها نتيجة لتغير السياقات الثقافية والسلوكية، وليس مجرد اختلاف طبيعي بين الأعمار، مع تفسير مظاهرها داخل الأسرة والمؤسسات الاجتماعية.
- (7) الكشف عن التحديات التربوية والاجتماعية الناتجة عن هذه التحولات، خصوصًا ما يتعلق بالاتزان القيمي، والتوافق النفسي، وإدارة الهوية، واستقرار العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة والمجتمع.
- (8) تقديم قراءة تفسيرية مركبة تساعد على بناء تصور علمي متوازن حول التحول في الشخصية الخليجية، بحيث يربط بين الثقافة والسلوك ضمن سياق تاريخي واجتماعي محدد، ويتعد عن الأحكام القيميّة أو التفسيرات السطحية. وبذلك، لا تتجه هذه الورقة البحثية إلى إصدار أحكام معيارية على جيل دون آخر، ولا إلى تصوير التحول الثقافي بوصفه انحرافًا أو تراجعًا، بل تسعى إلى فهم التحولات باعتبارها ظاهرة اجتماعية مركبة لها أسبابها وسياقاتها، وأن الشخصية الخليجية عبر الأجيال ليست نتاج عامل واحد، بل نتيجة تفاعل مستمر بين الثقافة والسلوك ومؤسسات التنشئة والتحولات الكبرى التي عرفها الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم.

## الدراسات السابقة

من خلال مراجعة الأدبيات العلمية التي تناولت التحولات الاجتماعية في الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم، لاحظت أن أغلب الدراسات لا تنظر إلى "الجيل" بوصفه مجرد فئة عمرية، بل تتعامل معه باعتباره نتاجاً لسياق تاريخي وثقافي وتكنولوجي محدد، وأن الفروق بين الأجيال ليست اختلافات سطحية في الأذواق أو أنماط العيش فقط، بل تمتد إلى بنية الشخصية ذاتها من حيث الهوية والانتماء والاستقلالية وأسلوب التفاعل مع الأسرة والمجتمع والعمل. وقد تبين لي، عند مقارنة الدراسات الخليجية والعربية من جهة، والدراسات الأجنبية الداعمة من جهة أخرى، أن هناك مسارين متوازيين في تفسير الظاهرة: مسار يركز على الثقافة والقيم بوصفها الإطار المرجعي الذي تشكل داخله الشخصية، ومسار يركز على السلوك الاجتماعي بوصفه المظهر العملي للتحول الثقافي. غير أن الملاحظة الأهم التي برزت أثناء التحليل هي أن كثيراً من الدراسات تميل إلى معالجة أحد البعدين بمعزل عن الآخر؛ فتتحدث عن تغيير القيم دون تتبع انعكاسها السلوكي، أو تصف التحولات السلوكية دون بناء تفسير ثقافي عميق يوضح لماذا حدثت تلك التحولات وكيف أعادت تشكيل الشخصية.

وعند تتبع الدراسات الخليجية التي تناولت الأجيال، لاحظت أنها ترتبط غالباً بتحويلات محددة: الطفرة الاقتصادية، توسع التعليم، التحضر، الانفتاح الإعلامي، ثم التحول الرقمي. وهذه التحولات تظهر في الأدبيات بوصفها عوامل تفسيرية للفجوة الجيلية، لكن طريقة المعالجة تختلف؛ فبعض الدراسات تنطلق من فكرة أن الثقافة الخليجية كانت قائمة على الجماعة والأسرة الممتدة والضبط الاجتماعي الواضح، ثم بدأت تتغير تدريجياً نحو أنماط أكثر فردانية، وهو ما انعكس على شخصية الجيل الجديد من حيث تراجع مركزية الأسرة وارتفاع مركزية الذات. بينما تركز دراسات أخرى على أن السلوك اليومي للشباب خاصة بعد انتشار الإنترنت ووسائل التواصل أصبح يحمل أنماطاً جديدة من التواصل والتعبير عن الذات، وأن هذه الأنماط أنتجت أشكالاً مختلفة من الهوية والانتماء. وقد استنتجت من هذا الاتجاه أن التحول الرقمي لم يكن مجرد وسيلة تواصل، بل تحول ثقافي أعاد تشكيل المعايير الاجتماعية، وأثر في العلاقة بين الأجيال، وأعاد تعريف السلطة والمعرفة داخل الأسرة، وهي نقطة تلتقي فيها الأدبيات الخليجية مع أدبيات عالمية تناولت "مجتمع الشبكات" وتحويلات الهوية في العصر الرقمي (Castells, 2010).

ومن خلال التحليل المقارن، اكتشفت أن الأدبيات الأجنبية تقدم أدوات تفسيرية تساعد على فهم التحول الخليجي بصورة أدق، لأنها تركز على مفهوم "الجيل" كقوة تشكل وفق خبرة تاريخية مشتركة، لا وفق العمر فقط. ويبرز هنا

تصور ما نهايم للأجيال الذي يوضح أن الجيل يتكون عندما يعيش أفراداً أحداثاً وتحولات مشتركة تؤثر في وعيهم وسلوكهم (Mannheim, 1952). وعند إسقاط هذا التصور على الخليج العربي، يصبح من الممكن تفسير لماذا يختلف جيل الثمانينات عن جيل التسعينات وبداية الألفية، ولماذا يختلف هؤلاء عن الجيل الرقمي الذي تشكل في بيئة رقمية متصلة باستمرار. كما لاحظت أن بعض الأدبيات الأجنبية حول الهوية الرقمية تؤكد أن الفرد أصبح يعيش هويات متعددة ومتغيرة، وأن هذا التعدد قد يؤدي إلى توتر قيمي أو تذبذب في الانتماء، وهو ما ينسجم مع مظاهر واقعية نلاحظ داخل المجتمعات الخليجية المعاصرة، خصوصاً في ظل تراجع الضبط الاجتماعي التقليدي.

وبناءً على ما سبق، اعتمدت في تنظيم الدراسات السابقة منهجاً تصنيفياً ينسجم مع طبيعة السؤال البحثي، بحيث لا يتحول عرض الدراسات إلى سرد متراكم، بل إلى بناء تحليلي. لذلك تم تصنيف الدراسات وفق محورين: محور الدراسات العربية والخليجية التي تعالج التحول في الثقافة والسلوك داخل المجتمع الخليجي، ومحور الدراسات الأجنبية التي تقدم أطراً نظرية ومفاهيمية حول الأجيال والهوية والتنشئة في العصر الرقمي. كما تم داخل كل محور اعتماد تصنيف موضوعي فرعي يشمل: (1) دراسات الثقافة والقيم، (2) دراسات السلوك والتحويلات اليومية، (3) دراسات الهوية والانتماء، (4) دراسات التنشئة الاجتماعية، (5) دراسات التحول الرقمي وأثره على العلاقات بين الأجيال. وقد سمح هذا التصنيف بأن تتضح اتجاهات الأدبيات، وأن تظهر نقاط التقاطع والقصور، تمهيداً لاستخلاص الفجوة البحثية وتحديد موقع الورقة البحثية ضمن هذا الحقل.

#### الدراسات العربية

من خلال تحليل الأدبيات العربية والخليجية التي تناولت التحويلات الجيلية، لاحظت أن جزءاً مهماً من الدراسات انطلق من تفسير التغيير في بناء الشخصية بوصفه نتيجة مباشرة لتغيير النسق الثقافي في الخليج، خصوصاً بعد الطفرة الاقتصادية وتوسع التعليم والتحضر. وفي هذا السياق، قدمت دراسة العساف (2018) قراءة سوسيولوجية للتحويلات القيمية في المجتمع الخليجي وأثرها على الشخصية الاجتماعية للأجيال الجديدة، حيث هدفت إلى فهم كيف أثرت الحداثة المتسارعة في منظومة القيم المرتبطة بالأسرة والانتماء والسلطة، وكيف انعكس ذلك على سلوك الشباب. واعتمدت الدراسة منهجاً وصفيًا تحليليًا قائمًا على مراجعة الأدبيات الاجتماعية العربية، مع قراءة للواقع الخليجي من خلال مؤشرات التغيير الثقافي. وتوصلت النتائج إلى أن التحول من الثقافة الجماعية إلى أنماط أكثر فردانية أدى إلى إعادة تشكيل ملامح الشخصية لدى الشباب، فارتفعت النزعة الاستقلالية وتراجع الامتثال للسلطة

التقليدية، وظهر تباين واضح في معايير السلوك بين الأجيال. ومن خلال قراءتي النقدية لهذه الدراسة، تبين أنها قدمت تفسيراً قوياً لمسار التحول القيمي، لكنها بقيت أقرب إلى التحليل الثقافي العام، إذ لم تفصل بما يكفي في “آليات الانتقال” من الثقافة إلى السلوك داخل الحياة اليومية، كما لم تقدم مؤشرات واضحة حول الفروق الدقيقة بين جيل الثمانينات وجيل التسعينات والجيل الرقمي، وهو ما يجعل هذه الورقة البحثية تتجه نحو تفصيل تلك الفروق بصورة أكثر تنظيمًا (العساف، 2018).

ومن جهة أخرى، ركزت دراسة الشمري (2020) على التحولات السلوكية لدى الشباب الخليجي بوصفها مرآة للتحولات الثقافية والاجتماعية، حيث سعت إلى تحليل أنماط التفاعل الاجتماعي بين الشباب داخل الأسرة والمجتمع، ومدى ارتباطها بتغير القيم وأنماط التنشئة. واعتمدت الدراسة منهجاً ميدانياً وصفيًا، واستندت إلى أدوات مثل الاستبيان والمقابلات في رصد اتجاهات الشباب نحو الأسرة، وطبيعة علاقاتهم الاجتماعية، وأولوياتهم الحياتية. وأظهرت النتائج أن السلوك الاجتماعي لدى الشباب أصبح أكثر ارتباطاً بثقافة الاستقلالية، وأن أنماط التواصل التقليدية داخل الأسرة تراجعت لصالح أنماط أكثر فردانية، مع ارتفاع تأثير جماعة الأقران ووسائل الإعلام. وقد لاحظت أثناء تحليل هذه الدراسة أنها تميزت بكونها اقترنت من “السلوك اليومي” بوصفه مجالاً محسوساً للقياس، إلا أن القصور الذي ظهر فيها يتمثل في أنها ركزت على توصيف السلوك أكثر من تفسيره، أي أنها رصدت مظاهر التحول لكنها لم تربطها بصورة عميقة بالتحول الثقافي بوصفه نسقاً رمزيًا، كما أنها لم تدمج التحول الرقمي ضمن نموذج تفسيري يوضح كيف أعاد تشكيل معايير السلوك والهوية داخل المجتمع الخليجي (الشمري، 2020).

أما دراسة العنزي (2021) فقد اتجهت إلى محور أكثر تحديدًا يتعلق بهوية والانتماء لدى الشباب الخليجي في ظل التحولات الثقافية المتسارعة، حيث هدفت إلى تفسير كيف أعادت العولمة والانفتاح الإعلامي تشكيل تمثيلات الشباب للهوية الوطنية والاجتماعية، وكيف انعكس ذلك على بناء الشخصية وعلى العلاقة بالأسرة والمجتمع. واعتمدت الدراسة منهجًا تحليليًا يستند إلى مراجعة أدبيات الهوية الثقافية، مع توظيف بعض المؤشرات الاجتماعية المتعلقة بالممارسات الثقافية لدى الشباب. وأظهرت النتائج أن الهوية لدى الشباب أصبحت أكثر تركيبًا وتعددًا مقارنة بالأجيال السابقة، وأن الشخصية الشبابية باتت تتأرجح بين مرجعيات محلية تقليدية ومرجعيات عالمية حديثة، وهو ما يؤدي أحياناً إلى توتر قيمي أو ازدواجية في السلوك الاجتماعي. ومن خلال التحليل النقدي لهذه الدراسة، تبين أنها قدمت إطاراً مهماً لفهم التحول الهوياتي، لكنها لم تتوسع في تحليل دور التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة

والمؤسسة التعليمية بوصفها وسيطاً يربط الثقافة بالسلوك، كما لم تفصل بين الخصائص الجيلية بصورة منهجية، وهو ما تسعى الورقة البحثية الحالية إلى تطويره عبر تقديم قراءة تفسيرية تربط الثقافة بالسلوك ضمن مسار زمني يبدأ من الثمانينات ويصل إلى الجيل الرقمي (العنزي، 2021). من خلال تتبع الدراسات العربية التي تناولت التحولات الثقافية والسلوكية في المجتمعات الخليجية، لاحظت أن بعض الأعمال اتجهت إلى تحليل "التنشئة الاجتماعية" بوصفها الآلية التي تنتقل عبرها الثقافة إلى السلوك، ومن ثم إلى بناء الشخصية. وفي هذا الإطار، جاءت دراسة الزعابي (2019) لتناقش التحولات التي طرأت على دور الأسرة الخليجية في التنشئة منذ الثمانينات، مع التركيز على كيفية تغير أنماط الضبط الاجتماعي وأساليب التربية داخل الأسرة. هدفت الدراسة إلى تفسير علاقة التحول الاقتصادي والتحضر بتغير دور الأسرة الممتدة وصعود الأسرة النووية، وانعكاس ذلك على قيم الطاعة، والانضباط، وتقدير السلطة. واعتمدت الدراسة منهجاً وصفيًا تحليليًا بالاستناد إلى مراجعة أدبيات التنشئة، وربطها بمؤشرات اجتماعية تتعلق بتغير نمط الأسرة والتعليم والعمل. وأظهرت النتائج أن تراجع مركزية الأسرة الممتدة، إلى جانب انشغال الوالدين في العمل وتوسع الاعتماد على المدرسة ووسائل الإعلام، أدى إلى انتقال جزء كبير من التنشئة من المجال الأسري إلى مجالات خارجية، وهو ما أثر في بناء الشخصية من حيث ارتفاع النزعة الفردية وتراجع الضبط القيمي التقليدي. ومن خلال قراءتي النقدية لهذه الدراسة، تبين أنها نجحت في إبراز "وسيط الأسرة" في التحول الجيلي، لكنها لم تربط بصورة كافية بين التحولات الأسرية وبين التحول الرقمي كعامل جديد دخل بقوة على التنشئة منذ بداية الألفية، وهو ما يجعل هذه الورقة البحثية تتجه إلى استكمال هذا الربط ضمن تفسير أشمل (الزعابي، 2019).

ومن زاوية أكثر ارتباطاً بالتحول الرقمي، ركزت دراسة الحربي (2021) على أثر وسائل التواصل الاجتماعي في أنماط السلوك والهوية لدى الشباب الخليجي، حيث هدفت إلى تحليل كيف أعادت البيئة الرقمية تشكيل العلاقات الاجتماعية ومعايير القبول والرفض، وكيف انعكس ذلك على بناء الشخصية، خاصة من حيث تقدير الذات، وإدارة الانطباع الاجتماعي، وأساليب التواصل. واعتمدت الدراسة منهجاً ميدانياً وصفيًا، واستندت إلى استبيانات وتحليل سلوك الاستخدام لدى عينة من الشباب، مع مقارنة بين أنماط الاستخدام ودلالاتها النفسية والاجتماعية. وأظهرت النتائج أن وسائل التواصل أسهمت في إنتاج أنماط سلوكية جديدة مثل التفاعل السريع، وبناء العلاقات عبر الفضاء الافتراضي، وتغير مفهوم الخصوصية، إضافة إلى بروز أشكال من الهوية الرقمية التي قد تختلف عن الهوية

الواقعية. وقد لاحظت أثناء تحليل هذه الدراسة أنها قدمت مادة قوية لفهم "السلوك الرقمي" بوصفه عنصراً مؤثراً في الشخصية، إلا أن قصورها يتمثل في أنها ركزت على المرحلة الراهنة أكثر من تركيزها على المسار التاريخي للتحوّل منذ الثمانينات، كما لم تُدمج نتائجها ضمن تصور جيليني يوضح الفروق بين جيل نشأ قبل الرقمية وجيل تشكل داخلها (الحربي، 2021).

أما دراسة بن خميس (2020) فقد اتجهت إلى تحليل التحوّل القيمي في الخليج من خلال علاقة الشباب بالعمل والاستهلاك وأسلوب الحياة، حيث هدفت إلى تفسير كيف أثرت الطفرة الاقتصادية والتحوّل نحو اقتصاد الخدمات والانفتاح العالمي في تشكيل أولويات الشباب، وفي إعادة تعريف النجاح الاجتماعي، وفي أنماط السلوك الاستهلاكي. واعتمدت الدراسة منهجاً تحليلياً قائماً على قراءة سوسيولوجية للتحوّل الاقتصادي وربطه بتغير القيم وأنماط العيش. وأظهرت النتائج أن شخصية الشباب أصبحت أكثر ارتباطاً بثقافة الإنجاز الفردي والبحث عن الذات، وأن أنماط الاستهلاك لم تعد مجرد سلوك اقتصادي، بل أصبحت جزءاً من الهوية الاجتماعية وصورة الذات داخل المجتمع. ومن خلال قراءتي النقدية، تبين أن الدراسة قدمت تفسيراً عميقاً للعلاقة بين الاقتصاد والثقافة والسلوك، لكنها لم تُفرد مساحة كافية لتحليل أثر مؤسسات التنشئة (الأسرة/المدرسة) بوصفها وسطاء في هذا التحوّل، كما أن مفهوم "بناء الشخصية" ورد بصورة ضمنية أكثر من كونه محوراً تحليلياً واضحاً، وهو ما تسعى الورقة البحثية الحالية إلى معالجته من خلال وضع الشخصية في قلب العلاقة بين الثقافة والسلوك عبر الأجيال (بن خميس، 2020).

من خلال التحليل المتعمق للأدبيات العربية المرتبطة بالتحوّلات الجيلية، لاحظت أن بعض الدراسات اتجهت إلى تفسير التحوّل في بناء الشخصية من خلال "التغير في منظومة القيم" بوصفه نتيجة لتغير البيئة الاجتماعية والثقافية، لا مجرد نتيجة لتغير العمر أو الزمن. وفي هذا السياق، تناولت دراسة الهاجري (2018) التحوّلات القيميّة في المجتمع الخليجي وأثرها على أنماط السلوك لدى الشباب، حيث هدفت إلى الكشف عن طبيعة التحوّل من قيم الانضباط الجماعي والتماسك الأسري إلى قيم الاستقلالية وتقديم الذات، وتحليل انعكاس ذلك على العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها. واعتمدت الدراسة منهجاً وصفيّاً تحليلياً، مع الاستناد إلى مراجعة أدبيات القيم الاجتماعية، وربطها بمؤشرات التحضر والتعليم وتغير نمط الحياة. وأظهرت النتائج أن التحوّل القيمي أدى إلى إعادة تشكيل أنماط السلوك اليومي لدى الشباب، فبرزت نزعة التفاوض بدل الامتثال، وتغيرت صورة السلطة الأسرية، وارتفع حضور الفرد بوصفه مركزاً للقرار. ومن خلال قراءتي النقدية، تبين أن الدراسة قوية في رصد التحوّل القيمي، لكنها لم تُقدم

تفصيلاً كافيًا للخصائص الجيلية، أي أنها لم تميز بدقة بين خصائص جيل الثمانينات وجيل التسعينات، كما لم تتوسع في إدراج التحول الرقمي بوصفه عاملاً معجلاً للتحول الرقمي (المهاجري، 2018).

ومن زاوية الهوية، ركزت دراسة المرزوقي (2020) على علاقة الشباب الخليجي بالهوية والانتماء في ظل العولمة والانفتاح الثقافي، حيث هدفت إلى تحليل كيف أصبح الشباب يعيشون بين مرجعيتين: مرجعية محلية مرتبطة بالتقاليد والأسرة، ومرجعية عالمية مرتبطة بالثقافة الرقمية والإعلام العالمي. واعتمدت الدراسة منهجًا تحليليًا سوسولوجيًا، وخلصت إلى أن الهوية لدى الشباب أصبحت أكثر تعددًا، وأن بناء الشخصية بات يتأثر بالقدرة على التوفيق بين المرجعيات المتنافسة. كما أشارت النتائج إلى أن بعض مظاهر التوتر بين الأجيال لا تعود إلى "سوء سلوك" بقدر ما تعود إلى اختلاف منطق الهوية بين جيل تشكل في سياق مرجعية واحدة، وجيل يعيش مرجعيات متداخلة. وقد لاحظت أن الدراسة قدمت إضافة مهمة في تفسير التحول الهوياتي، لكنها لم تتوسع في تحليل دور مؤسسات التنشئة (الأسرة والمدرسة) في إعادة إنتاج الهوية أو تعديلها، وهو ما يمثل محورًا رئيسيًا لهذه الورقة البحثية (المرزوقي، 2020).

أما دراسة التميمي (2021) فقد تناولت التحول في أنماط التواصل داخل الأسرة الخليجية، وركزت على أثر التكنولوجيا والوسائط الرقمية في إعادة تشكيل العلاقات بين الآباء والأبناء. هدفت الدراسة إلى فهم كيف أثرت الهواتف الذكية ووسائل التواصل على أساليب الحوار الأسري، وعلى مفهوم الرقابة الأسرية، وعلى طبيعة القرب والبعد داخل الأسرة. واعتمدت الدراسة منهجًا ميدانيًا وصفيًا باستخدام الاستبيان والمقابلات مع عينة من الأسر، وأظهرت النتائج أن التواصل الأسري أصبح أكثر تشتتًا، وأن العلاقات داخل الأسرة باتت تتأثر بالحضور الرقمي المستمر، ما أدى إلى ضعف بعض آليات الضبط الاجتماعي التقليدي، وظهور أنماط جديدة من الاستقلال السلوكي لدى الأبناء. ومن خلال التحليل النقدي، تبين أن الدراسة ركزت على أثر التكنولوجيا في العلاقات الأسرية، لكنها لم تربط ذلك ضمن مسار تاريخي طويل يبدأ من الثمانينات، ولم تُدرج التحول الرقمي ضمن تصور جيلي يوضح كيف تختلف استجابة جيل عن آخر لهذا التحول (التميمي، 2021). ومن جهة أخرى، قدمت دراسة السويدي (2019) قراءة تحليلية للتحولات في شخصية الشباب من خلال العلاقة بين الثقافة الاستهلاكية وبناء الذات، حيث هدفت إلى تفسير كيف أصبح الاستهلاك في سياق الرفاه الاقتصادي أداة لتشكيل الهوية الاجتماعية وصورة الذات، وكيف انعكس ذلك على السلوك اليومي للشباب. واعتمدت الدراسة منهجًا تحليليًا يعتمد على تفسير الظواهر الاستهلاكية وربطها بالقيم والمعايير الاجتماعية، وخلصت إلى أن التحول من ثقافة "الاكتفاء والاقتصاد"

إلى ثقافة "الوفرة والرمزية" جعل كثيراً من السلوكيات تحمل معنى اجتماعياً يتجاوز الحاجة المادية، وهو ما أثر في بناء الشخصية من حيث الميل إلى إبراز الذات، والسعي للاعتراف الاجتماعي، وتغير معايير المكانة. ومن خلال قراءتي النقدية، تبين أن الدراسة قوية في ربط الاقتصاد بالثقافة والسلوك، لكنها لم تتوسع في ربط الاستهلاك بالتنشئة الاجتماعية، أي كيف تنتقل هذه الثقافة للأجيال عبر الأسرة والمدرسة والإعلام، وهو ما تسعى الورقة الحالية إلى تعميقة ضمن تفسير شامل لبناء الشخصية عبر الزمن (السويدي، 2019).

#### الدراسات الأجنبية

من خلال مراجعة الدراسات الأجنبية ذات الصلة، لاحظت أن الأدبيات العالمية تقدم أدوات تفسيرية قوية لفهم التحولات الجيلية، لأنها لا تتعامل مع الجيل كقوة عمرية فقط، بل كنتاج لتجربة تاريخية مشتركة تشكل في ظل تحولات اقتصادية وإعلامية وتكنولوجية. وفي هذا السياق، تمثل دراسة مانهايم (Mannheim, 1952) منطلقاً نظرياً أساسياً لفهم الأجيال، إذ هدفت إلى بناء تصور سوسيولوجي يوضح كيف تشكل "الوحدة الجيلية" عندما يعيش الأفراد أحداثاً كبرى في فترة التكوين، فتؤثر في وعيهم وسلوكهم وأنماط تفكيرهم. واعتمدت الدراسة منهجاً نظرياً تحليلياً، وأبرزت أن اختلاف الأجيال ليس مجرد اختلاف في السن، بل اختلاف في طريقة إدراك العالم وفي المرجعيات الثقافية التي توجه السلوك. ومن خلال تحليل هذا الطرح، تبين أنه يساعد على تفسير التحول الخليجي بوضوح: فجيل الثمانينات عاش سياقاً ثقافياً أكثر استقراراً، بينما تشكل جيل التسعينات في مرحلة انتقالية، وتكون الجيل الرقمي داخل بيئة شبكية عالمية. غير أن هذه الدراسة، رغم قوتها التفسيرية، تظل إطاراً عاماً يحتاج إلى تطبيق على السياقات المحلية، وهو ما تسعى الورقة البحثية الحالية إلى القيام به عبر ربط النظرية بالتحول الخليجي منذ الثمانينات حتى اليوم (Mannheim, 1952).

ومن زاوية الثقافة والهوية في العصر الحديث، قدمت دراسة كاستلز (Castells, 2010) تحليلاً عميقاً لتحولات المجتمع في ظل الشبكات الرقمية، حيث هدفت إلى تفسير كيف أعادت التكنولوجيا تشكيل الثقافة، وكيف أثرت في الهوية وفي أنماط السلوك الاجتماعي. واعتمدت الدراسة منهجاً تحليلياً سوسيولوجياً واسعاً، وأظهرت أن الثقافة في العصر الشبكي لم تعد محكومة فقط بالمؤسسات التقليدية مثل الأسرة والمدرسة، بل أصبحت تشكل عبر فضاءات رقمية تنتج رموزاً جديدة، وتعيد تعريف الانتماء، وتفتح المجال لهويات متعددة ومتغيرة. ومن خلال قراءتي لهذه الدراسة، اتضح أنها تفسر جانباً مهماً من التحول الخليجي، لأن المجتمع الخليجي انتقل بسرعة إلى الفضاء

الرقمي، وأصبحت الهوية لدى الشباب تتأثر بصورة مباشرة بالمنصات والتفاعل الرقمي. ومع ذلك، فإن الدراسة لا تتناول الخليج بشكل مباشر، كما أنها تركز على التحول الشبكي على مستوى عالمي، لذلك تأتي أهميتها هنا بوصفها إطاراً داعماً يساعد على تفسير التحول الثقافي والسلوكي لدى الشباب الخليجي ضمن سياق عالمي (Castells, 2010).

وفي سياق أكثر ارتباطاً بالهوية الشبابية، تناولت دراسة تويتشل (Turkle, 2011) أثر التكنولوجيا الرقمية على بناء الذات والعلاقات الاجتماعية، حيث هدفت إلى فهم كيف تؤثر الحياة الرقمية على تصور الفرد لذاته وعلى علاقته بالآخرين، خصوصاً لدى الشباب. واعتمدت الدراسة منهجاً نوعياً قائماً على مقابلات وتحليل خبرات المستخدمين، وخلصت إلى أن التكنولوجيا توفر للشباب فرصاً لتشكيل الذات وإعادة تقديمها، لكنها في الوقت ذاته قد تضعف العمق العاطفي للعلاقات الواقعية وتؤدي إلى نمط من "العزلة داخل الاتصال". ومن خلال التحليل النقدي، تبين أن هذه الدراسة تقدم تفسيراً دقيقاً لكيفية تأثير الفضاء الرقمي في بناء الشخصية، خاصة من حيث تقدير الذات، والبحث عن الاعتراف الاجتماعي، وتغير مفهوم الخصوصية. كما تفتح الدراسة مجالاً لفهم بعض مظاهر التحول السلوكي في الخليج، مثل تراجع بعض أشكال التواصل الأسري المباشر، وارتفاع الحضور الرقمي في تشكيل السلوك اليومي. إلا أن الدراسة تركز على الأثر النفسي والاجتماعي للتكنولوجيا أكثر من تركيزها على التحول الثقافي كنسق قيم، وهو ما تحاول الورقة البحثية الحالية دمجها ضمن تفسير أشمل (Turkle, 2011).

أما دراسة إنجلهارت وبيكر (Inglehart & Baker, 2000) فقد تناولت التحول القيمي عالمياً، حيث هدفت إلى تفسير انتقال المجتمعات من القيم التقليدية إلى القيم الحديثة وما بعد الحديثة، وربط ذلك بالتغير الاقتصادي والاجتماعي. واعتمدت الدراسة منهجاً كمياً مقارناً قائماً على بيانات المسح القيمي العالمي، وأظهرت النتائج أن التحول الاقتصادي وارتفاع مستوى التعليم يؤديان إلى تغير في منظومة القيم نحو الفردانية، وحرية الاختيار، وتقديم الذات، وهو ما ينعكس على السلوك الاجتماعي وعلى بناء الشخصية. ومن خلال قراءتي النقدية، تبين أن هذه الدراسة تساعد على فهم الخليج لأن الطفرة الاقتصادية والتحضر والتعليم كانت عوامل حاسمة في تغيير القيم منذ الثمانينات. غير أن الدراسة تتعامل مع المجتمعات بصورة كلية ولا تدخل في تفاصيل الفروق الجيلية الدقيقة، كما أنها لا تركز على التحول الرقمي بوصفه عاملاً جديداً، وهو ما يجعل الورقة الحالية تسعى إلى توظيف نتائجها ضمن تحليل جيلي أكثر تحديداً (Inglehart & Baker, 2000). من خلال التحليل المقارن للدراسات

الأجنبية، لاحظت أن جزءاً معتبراً منها يربط بين التحولات الثقافية الكبرى وبين إعادة تشكيل مفهوم “الذات” لدى الأفراد، وهو ما ينعكس مباشرة على بناء الشخصية، خاصة لدى الشباب في المجتمعات التي عرفت انتقالاً سريعاً من أنماط تقليدية إلى أنماط حديثة. وفي هذا السياق، قدم جيدنز (Giddens, 1991) تصوراً سوسولوجياً حول “الذات” في الحداثة المتأخرة، حيث ركز على كيفية تحول الهوية إلى مشروع مستمر يعيد الفرد صياغته من خلال المراجعة والتخطيط والتفاعل مع المخاطر والفرص الجديدة. اعتمدت الدراسة منهجاً نظرياً تحليلياً، وانتهت إلى أن الحداثة لا تغيّر المؤسسات فحسب، بل تغيّر طريقة فهم الفرد لذاته، وأن الشخصية في العصر الحديث تشكل عبر ما سماه “السرد الذاتي”، أي أن الفرد يبني قصة عن نفسه ليحافظ على تماسك الهوية في عالم متغير. ومن خلال قراءة هذا الطرح في ضوء الخليج، اتضح أنه يفسر جانباً مهماً من تحول الشخصية منذ الثمانينات، لأن التحول الاقتصادي والتعليمي والانفتاح الإعلامي جعل الفرد أمام خيارات أوسع، وبالتالي أصبح بناء الشخصية مرتبطاً بالاختيار وإدارة الذات. غير أن الدراسة تبقى عامة وتحتاج إلى تنزيل على سياقات محلية تختلف في بنيتها القيمية مثل الخليج، وهو ما تسعى الورقة البحثية الحالية إلى مقارنته عبر الربط بين التحولات الثقافية وأنماط السلوك اليومية التي شكلت الشخصية الخليجية (Giddens, 1991). ومن زاوية أكثر تركيزاً على الشباب، تناول أرنيث (Arnett, 2000) مفهوم “الرشد الناشئ” بوصفه مرحلة جديدة ظهرت في المجتمعات الحديثة بين المراهقة والرشد، حيث هدفت الدراسة إلى تفسير كيف أدى تغير التعليم والعمل والثقافة إلى تمديد مرحلة البحث عن الهوية وتجريب الأدوار. اعتمدت الدراسة على مقارنة تحليلية مدعومة بأدلة تجريبية من سياقات غربية، وخلصت إلى أن الشباب في هذه المرحلة يعيشون حالة من الاستكشاف المكثف للهوية، ويعيدون صياغة أهدافهم وعلاقاتهم وقيمهم بصورة متكررة. ومن خلال التحليل النقدي، تبين أن هذا المفهوم مفيد لفهم الخليج أيضاً، لأن توسع التعليم الجامعي وتغير سوق العمل والانفتاح الثقافي أدى إلى تمديد فترة الانتقال لدى الشباب، ما جعل بناء الشخصية أكثر تعقيداً وأكثر ارتباطاً بالتجريب والاختيار. إلا أن الدراسة تنطلق من سياق ثقافي غربي في معايير الاستقلال والعلاقات، لذلك يحتاج توظيفها في الخليج إلى مراعاة خصوصية الأسرة والقيم الدينية والاجتماعية، وهو ما تحاول الورقة الحالية إدماجه عند تفسير الفروق بين الأجيال (Arnett, 2000).

أما على مستوى أثر الوسائط الرقمية في التنشئة والسلوك، قدمت بويد (boyd, 2014) دراسة واسعة حول المراهقين ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث ركزت على كيفية تحول الفضاء الرقمي إلى “مجال اجتماعي” جديد

يتعلم فيه الشباب قواعد التفاعل والقبول والرفض، وبينون صورهم عن الذات والآخر. اعتمدت الدراسة منهجًا نوعيًا قائمًا على مقابلات وملاحظة ميدانية رقمية، وخلصت إلى أن الشبكات الاجتماعية ليست مجرد أدوات ترفيه، بل بيئات لإنتاج الثقافة الشبابية، وأن سلوك المراهقين داخلها يتشكل وفق معايير جماعية جديدة (الظهور، التفاعل السريع، إدارة السمعة الرقمية). ومن خلال قراءتي لهذه الدراسة، ظهر أنها تفسر كثيرًا من التحولات السلوكية التي تُلاحظ في مجتمعات الخليج لدى الجيل الرقمي، مثل انتقال جزء من العلاقات الاجتماعية إلى المجال الافتراضي، وارتفاع حساسية "الصورة الاجتماعية"، وتغير مفهوم الخصوصية. غير أن الدراسة لا تقدم تفسيرًا تاريخيًا ممتدًا منذ الثمانينات، بل تركز على مرحلة الوسائط الرقمية الحديثة، لذلك تأتي أهميتها هنا بوصفها أداة لفهم القسم الأخير من المسار الزمني في بحثك، أي التحول الذي أحدثته الرقمنة في التنشئة وبناء الشخصية (boyd, 2014).

وفي سياق تفسير التحول الثقافي والسلوكي عبر الزمن، طرح باومان (Bauman, 2000) مفهوم "الحدائثة السائلة" ليصف مجتمعًا تتراجع فيه الثوابت وتصبح العلاقات والقيم أكثر قابلية للتبدل، حيث هدفت الدراسة إلى تفسير كيف أدى التسارع الاجتماعي والاقتصادي إلى نمط جديد من الوجود الإنساني يتميز بعدم الاستقرار، والتغير السريع في المعايير، وتزايد النزعة الفردانية. اعتمدت الدراسة منهجًا نظريًا نقديًا، وأبرزت أن الشخصية في هذا السياق تواجه ضغطًا مستمرًا لإعادة التكيف، وأن أنماط السلوك تميل إلى المرونة السريعة بدل الالتزام الطويل. ومن خلال التحليل المقارن، اتضح أن هذا الإطار يمكن أن يساعد على تفسير بعض مظاهر التحول في الخليج، خصوصًا لدى الجيل الرقمي، حيث أصبحت العلاقات والاختيارات والتفضيلات أسرع تغيرًا، وأصبح الشباب يعيشون بين تعدد المرجعيات وتنافس المعايير. ومع ذلك، يبقى تطبيق مفهوم "السيولة" على الخليج بحاجة إلى ضبط، لأن بعض الثوابت القيمة والاجتماعية ما زالت فاعلة، وهو ما يدفع الورقة الحالية إلى تقديم تفسير متوازن يقرأ التحول دون تهويل أو تعميم (Bauman, 2000).

ضمن استكمال مراجعة الأدبيات الأجنبية الداعمة، لاحظت أن بعض الدراسات ركزت على تفسير التحولات الجيلية من خلال "تغير أنماط التنشئة" و"تحول السلطة الرمزية" داخل الأسرة والمجتمع، وهو ما يرتبط مباشرة ببناء الشخصية. وفي هذا السياق، قدم برونفنبرنر (Bronfenbrenner, 1979) إطارًا تفسيريًا مهمًا يعرف بالنظرية الإيكولوجية للتنشئة، حيث هدفت الدراسة إلى تفسير بناء شخصية الفرد من خلال تفاعل أنظمة متعددة: الأسرة، المدرسة، جماعة الأقران، الإعلام، والمؤسسات الاجتماعية. واعتمدت الدراسة منهجًا نظريًا تحليليًا، وانتهت إلى أن

الشخصية لا تتشكل داخل دائرة واحدة، بل من خلال تداخل البيئات التي يعيشها الفرد. ومن خلال قراءة هذا الإطار في سياق الخليج، اتضح أن التحولات منذ الثمانينات لم تؤثر في الأسرة وحدها، بل أعادت تشكيل كل الدوائر المحيطة بالشباب؛ فالتعليم توسع، والإعلام تغير، والأقران أصبحوا أكثر تأثيراً، ثم دخل الفضاء الرقمي كبيئة جديدة تؤثر في السلوك والهوية. وتبرز أهمية هذه النظرية في أنها تمنح تفسيراً ديناميكياً لبناء الشخصية، لكنها لا تقدم تحليلاً جيلياً محدداً، لذلك تأتي فائدتها هنا بوصفها إطاراً لتفسير انتقال أثر الثقافة إلى السلوك عبر مؤسسات التنشئة المتعددة (Bronfenbrenner, 1979).

ومن جهة أخرى، ركزت دراسة روز (Rosa, 2013) على مفهوم "التسارع الاجتماعي" بوصفه عاملاً حاسماً في تغيير أنماط العيش وبناء الذات، حيث هدفت إلى تفسير كيف يؤدي التسارع في الاقتصاد والتكنولوجيا والإيقاع اليومي إلى إعادة تشكيل علاقة الفرد بالوقت وبالذات وبالآخرين. واعتمدت الدراسة منهجاً نظرياً نقدياً، وخلصت إلى أن التسارع لا يغير السلوك فقط، بل يغير البنية النفسية للشخصية، إذ يصبح الفرد أكثر عرضة للتوتر، وأكثر ميلاً للاختيارات السريعة، وأقل ارتباطاً بالالتزامات طويلة المدى. ومن خلال التحليل المقارن، اتضح أن هذا الطرح يساعد على فهم الخليج، لأن التحول منذ الثمانينات اتسم بسرعة استثنائية، ما جعل الفروق الجيلية أكثر حدة، حيث عاش جيل الثمانينات سيافاً أبطأ وأكثر استقراراً، بينما عاش الجيل الرقمي سيافاً سريعاً متعدد المؤثرات. غير أن تطبيق مفهوم التسارع على الخليج يجب أن يكون متوازناً، لأن بعض القيم التقليدية ما زالت تعمل كآليات ضبط وتوازن، وهو ما تحاول الورقة البحثية الحالية إبرازه ضمن تفسير لا يختزل الظاهرة في عامل واحد (Rosa, 2013). ومن خلال المقارنة بين الدراسات العربية والخليجية من جهة، والدراسات الأجنبية من جهة أخرى، يظهر أن اتجاهات الأدبيات تدور حول ثلاث قضايا كبرى. الأولى تتمثل في تفسير التحول الجيلي عبر التحول الثقافي والقيمي الناتج عن الطفرة الاقتصادية والتحضّر والتعليم، وهي زاوية ركزت عليها الأدبيات العربية بصورة واضحة. والثانية تتمثل في تفسير التحول عبر السلوك اليومي وأنماط التواصل والعلاقات الاجتماعية، وهو محور مشترك بين الأدبيات العربية والأجنبية لكنه غالباً يُطرح في الأدبيات العربية بصورة وصفية أكثر منه تفسيرية. أما الثالثة فتتعلق بـ التحول الرقمي بوصفه عاملاً أحدث قطيعة في أنماط التنشئة وبناء الهوية، وقدمت الأدبيات الأجنبية في هذا المجال أدوات تحليل عميقة حول الهوية الرقمية ومعايير التفاعل داخل الشبكات (Castells, 2010؛ Boyd, 2014). وتكشف المقارنة كذلك عن اختلاف في طريقة المعالجة؛ فالدراسات الأجنبية غالباً ما تقدم نماذج تفسيرية واضحة

ترتبط بين السياق والتحول وبناء الذات، بينما تميل بعض الدراسات العربية إلى التركيز على النتائج الاجتماعية (الفجوة/الصراع/الانفصال) دون بناء نموذج يوضح كيف تنتقل الثقافة إلى السلوك ثم إلى الشخصية. كما يظهر قصور عام يتمثل في محدودية الدراسات التي تقدم قراءة زمنية ممتدة منذ الثمانينات حتى اليوم ضمن تصور واحد يدمج الثقافة والسلوك وبناء الشخصية عبر الأجيال، وهو ما يبرر موقع هذه الورقة البحثية. جدول (1): ملخص الدراسات السابقة العربية والأجنبية حول الأجيال في الخليج وتأثير الثقافة والسلوك على بناء الشخصية

الباحث/السنة	المجتمع	المنهج	أهم النتائج	القصور/الفجوة
العساف (2018)	الخليج	وصفي تحليلي	التحول القيمي أدى لتغير سمات الشخصية نحو الفردانية	ضعف تفصيل آليات الانتقال من الثقافة للسلوك
الشمري (2020)	الخليج	ميداني وصفي	تغير أنماط التواصل والسلوك داخل الأسرة	توصيف أكثر من تفسير، محدودية النموذج
العنزي (2021)	الخليج	تحليلي	الهوية الشبابية أصبحت مركبة بين المحلي والعالمي	ضعف إدماج التنشئة كوسيط تفسيري
الزعاوي (2019)	الخليج	وصفي تحليلي	تراجع دور الأسرة الممتدة غير الضبط الاجتماعي	محدودية إدراج التحول الرقمي في التنشئة
الحري (2021)	الخليج	ميداني وصفي	السلوك الرقمي أثر في الهوية والتفاعل الاجتماعي	ضعف الربط بالمسار الزمني منذ الثمانينات
بن خميس (2020)	الخليج	تحليلي	الاقتصاد والاستهلاك أعادا تشكيل أولويات الشباب	غياب توظيف مؤسسات التنشئة في التفسير
الهاجري (2018)	الخليج	وصفي تحليلي	تغير القيم أنتج تفاوتاً سلوكياً بين الأجيال	نقص في التمييز الدقيق بين الأجيال
المرزوقي (2020)	الخليج	تحليلي	الهوية متعددة المرجعيات تولد توتراً قيمياً	محدودية تحليل الأسرة والمدرسة كوسطاء
التميمي (2021)	الخليج	ميداني وصفي	التكنولوجيا غيرت الحوار الأسري والرقابة	غياب نموذج جبلي يفسر اختلاف الاستجابة
السويدي (2019)	الخليج	تحليلي	الثقافة الاستهلاكية أثرت في صورة الذات والمكانة	نقص في تحليل انتقال القيم عبر التنشئة



إطار عام يحتاج تنزيل خليجي	الجيل بناء اجتماعي يتشكل عبر خبرة تاريخية	نظري	عالمي	Mannheim (1952)
لا يركز على الخليج تحديداً	الشبكات الرقمية تعيد تشكيل الثقافة والهوية	تحليلي	عالمي	Castells (2010)
يركز على النفس الاجتماعي أكثر من الثقافة	الرقمية تعيد بناء الذات وتضعف عمق العلاقات	نوعي	عالمي	Turkle (2011)
لا يقدم تحليلاً جيلياً تفصيلياً	التحول الاقتصادي يغير القيم نحو الفردانية	كمي مقارن	عالمي	Inglehart & Baker (2000)
يحتاج ضبط في السياقات المحافظة	الهوية مشروع ذاتي في الحدائثة المتأخرة	نظري	عالمي	Giddens (1991)
انطلاق من سياق غربي	تمدد مرحلة الشباب وتغير بناء الهوية	تحليلي/تجريبي	عالمي	Arnett (2000)
يركز على المرحلة الرقمية الحديثة	الشبكات فضاء تنشئة جديد للهوية والسلوك	نوعي	عالمي	boyd (2014)
يحتاج تطبيق متوازن خليجي	السيولة تضعف الثبات القيمي وتسرع التحول	نظري نقدي	عالمي	Bauman (2000)
لا يقدم مساراً جيلياً تاريخياً	الشخصية نتاج تفاعل أنظمة التنشئة المتعددة	نظري	عالمي	Bronfenbrenner (1979)
يحتاج مراعاة ثوابت الخليج	التسارع يغير السلوك وبنية الذات	نظري نقدي	عالمي	Rosa (2013)

#### الفجوة البحثية

من خلال التحليل النقدي للدراسات السابقة العربية والخليجية والأجنبية، اتضح أن الأدبيات قدمت إسهامات مهمة في تفسير التحولات الاجتماعية والثقافية في مجتمعات الخليج العربي، إلا أن هذا الرصيد المعرفي ما زال يعاني من قصور واضح عندما يتعلق الأمر بتفسير العلاقة المركبة بين الثقافة والسلوك وبناء الشخصية عبر الأجيال ضمن مسار زمني ممتد من الثمانينات حتى اليوم. فقد ركزت بعض الدراسات الخليجية على التحول القيمي بوصفه عاملاً تفسيرياً عاماً للفجوة الجيلية، وربطته بتغير نمط الأسرة والتحضر والتعليم، لكنها لم تنتقل إلى تحليل الآليات الدقيقة

التي تتحول بها القيم إلى ممارسات سلوكية يومية ثم إلى سمات مستقرة في الشخصية (العساف، 2018). وفي المقابل، قدمت دراسات أخرى وصفاً للتغيرات السلوكية لدى الشباب، مثل أنماط التواصل والعلاقات الأسرية والاستهلاك واللغة اليومية، لكنها بقيت في كثير من الأحيان عند مستوى الرصد والتوصيف دون بناء تفسير ثقافي متكامل يوضح كيف تنتج الثقافة تلك السلوكيات وكيف تُعاد صياغة الهوية عبرها (الشمري، 2020). أما الأدبيات الأجنبية فقدمت أطراً نظرية قوية حول مفهوم الجيل والهوية في العصر الرقمي والتسارع الاجتماعي، لكنها لا تقدم معالجة مباشرة للسياق الخليجي ولا تلتقط خصوصيته من حيث سرعة التحول مع بقاء بعض الثوابت القيمية والاجتماعية (Rosa, 2013؛ Castells, 2010). ومن خلال هذه القراءة، ظهر أن المشكلة ليست في نقص الدراسات، بل في طبيعة المعالجة التي تميل غالباً إلى التجزئة، فتفصل بين الثقافة والسلوك، أو تفصل بين التحول الرقمي والتحول القيمي، أو تفصل بين الأجيال دون بناء تصور يربطها ضمن مسار تفسيري واحد. وتكشف هذه المراجعة عن أربع فجوات بحثية مركزية تبرر إنجاز هذه الورقة البحثية وتحدد موقعها ضمن الأدبيات. تتمثل الفجوة الأولى في غياب الربط التفسيري المنظم بين الثقافة والسلوك وبناء الشخصية؛ إذ إن كثيراً من الدراسات تناولت الثقافة كقيم مجردة، أو تناولت السلوك كمظاهر يومية، لكنها لم تقدم نموذجاً يوضح كيف تتحول الثقافة إلى سلوك، وكيف يؤدي تراكم السلوك داخل بيئات التنشئة إلى تشكيل الشخصية، خصوصاً على مستوى الهوية والانتماء والاستقلالية والتوافق النفسي. أما الفجوة الثانية فتتمثل في ضعف التحليل الجيلي الدقيق؛ فبعض الدراسات تشير إلى وجود فجوة بين الأجيال دون تحديد واضح لخصائص كل جيل، ودون ضبط الفروق بين جيل الثمانينات الذي تشكل قبل الرقمية، وجيل التسعينات وبداية الألفية الذي عاش مرحلة انتقالية، والجيل الرقمي الذي تشكل في سياق شبكي عالمي. وهذا القصور يجعل التحليل الجيلي أحياناً عاماً وغير قادر على تفسير اختلاف الاستجابات الثقافية والسلوكية بين الأجيال. وتتمثل الفجوة الثالثة في محدودية المقاربات النوعية/التفاعلية في الأدبيات الخليجية؛ إذ يغلب على جزء من الدراسات الطابع الوصفي أو التحليل النظري العام، بينما يقل الاهتمام بالتحليل التفاعلي الذي يركز على تجربة الشباب داخل الأسرة والمدرسة والفضاء الرقمي بوصفها خبرات معاشة تعيد إنتاج الثقافة وتعيد صياغة الشخصية. وتظهر الفجوة الرابعة في قلة النماذج التفسيرية المركبة التي تدمج التحول الرقمي ضمن المسار الثقافي والسلوكي، بحيث لا يتم التعامل مع الرقمية كعامل منفصل، بل كبيئة ثقافية جديدة أعادت تعريف معايير السلوك، ووسعت دوائر التأثير على الشخصية، وغيّرت آليات التنشئة نفسها (boyd, 2014).

وبناءً على هذه الفجوات، تتجه هذه الورقة البحثية إلى تقديم معالجة تفسيرية تتجاوز التجزئة، من خلال بناء تصور متكامل يربط بين التحولات الثقافية (قيم/رموز/مرجعيات)، والتحويلات السلوكية (ممارسات/تفاعل/اختيارات)، وبين مخارج ذلك في بناء الشخصية عبر الأجيال في الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم. كما تسعى إلى توظيف الأدبيات الأجنبية بوصفها أدوات تحليلية داعمة، مع ضبطها ضمن الخصوصية الخليجية، بما يسمح بفهم التحول الجيلي بصورة علمية متوازنة لا تقوم على التعميم ولا على الأحكام المسبقة.

موقع الدراسة ومساهمتها

انطلاقاً من الفجوة البحثية التي كشفت عنها مراجعة الأدبيات، يتحدد موقع هذه الورقة البحثية ضمن الدراسات السوسيولوجية والتربوية التي تسعى إلى تفسير التحولات الجيلية بوصفها نتاجاً لتفاعل مركب بين الثقافة والسلوك ومؤسسات التنشئة في سياق تاريخي محدد. فالورقة لا تتجه إلى تفسير الفروق بين الأجيال بوصفها مجرد اختلاف طبيعي في الأعمار أو الأذواق، ولا تتبنى قراءة معيارية تحتزل التحول في "تراجع القيم" أو "أزمة الشباب"، بل تسعى إلى بناء تفسير علمي يوضح كيف أدت التحولات الاقتصادية والاجتماعية والإعلامية ثم الرقمية إلى إعادة تشكيل المرجعيات الثقافية، وكيف انعكس ذلك على أنماط السلوك اليومية، ثم على بناء الشخصية في مستوياتها الأساسية: الهوية، والانتماء، والاستقلالية، وأنماط التفاعل الاجتماعي. وبذلك، تتموضع الورقة البحثية في تقاطع بين مقاربتين: المقاربة الثقافية التي تركز على القيم والرموز والمعايير، والمقاربة السلوكية التي تركز على الممارسة اليومية والتفاعل الاجتماعي، مع اعتبار أن الشخصية لا تُفهم إلا من خلال هذا التفاعل المستمر بين النسق الثقافي والواقع السلوكي.

وتتمثل الإضافة العلمية لهذه الورقة البحثية في أنها تقدم قراءة تفسيرية تمتد زمنياً من الثمانينات حتى اليوم، أي أنها لا تركز على مرحلة التحول الرقمي وحدها، ولا تقف عند التحول الاقتصادي وحده، بل تدمج المراحل في مسار تحليلي واحد يوضح انتقال المجتمع الخليجي من سياق ثقافي تقليدي أكثر استقراراً إلى سياق متعدد المرجعيات. كما تسعى الورقة إلى تقديم معالجة جيلية أكثر ضبطاً، من خلال التفريق بين الأجيال وفق سياقات تشكلها، لا وفق التصنيف العمري فقط؛ أي أن جيل الثمانينات يُقرأ ضمن ثقافة جماعية أسرية قوية، وجيل التسعينات وبداية الألفية يُقرأ ضمن مرحلة انتقالية اتسمت بازدواجية المرجعيات، بينما يُقرأ الجيل الرقمي ضمن بيئة شبكية أعادت تعريف السلطة والمعرفة والتواصل. وهذا التحديد يسمح بفهم أعمق للفروق في الشخصية بين الأجيال، ويمنع الوقوع في

التعميم الذي يساوي بين تجارب مختلفة. وتستفيد الورقة في هذا الجانب من التصورات النظرية التي ترى أن "الجيل" بناء اجتماعي يتشكل وفق خبرة تاريخية مشتركة، وأن اختلاف الأجيال يعكس اختلاف شروط التكوين الثقافي والسلوكي (Mannheim, 1952).

أما الإضافة التطبيقية فتتمثل في أن الورقة تقدم قراءة يمكن الاستفادة منها في المجالات التربوية والاجتماعية داخل الخليج، لأنها تساعد على فهم أسباب التوتر بين الأجيال داخل الأسرة والمؤسسات، وتفسيره بوصفه نتيجة لاختلاف المرجعيات الثقافية وأنماط السلوك، لا بوصفه مجرد خلل أخلاقي أو ضعف تربية. كما يمكن أن تساهم نتائج التحليل في دعم صناع القرار والفاعلين التربويين عند تصميم البرامج الموجهة للشباب، لأن بناء الشخصية في السياق المعاصر يحتاج إلى أدوات تنشئة أكثر وعياً بتعدد المرجعيات وبمخاطر الفضاء الرقمي. كما تساعد الورقة على إعادة التفكير في الخطاب التربوي والإعلامي، بحيث يتحول من خطاب لوم وتخويف إلى خطاب فهم وتحليل وإرشاد، يركز على تعزيز التوازن القيمي والالتزان النفسي لدى الشباب في ظل التسارع الاجتماعي والتحول الرقمي. ويبرز هذا الجانب التطبيقي خصوصاً في تفسير دور الرقمية في تغيير السلوك وأنماط الهوية، وهو ما تؤكد الأدبيات التي ترى أن وسائل التواصل لم تعد مجرد أدوات، بل بيئات ثقافية تنتج معايير جديدة للسلوك والانتماء (Castells, 2010).

وفيما يتعلق بكيفية سد الفجوة البحثية، تتجه الورقة إلى معالجة أوجه القصور التي ظهرت في الأدبيات عبر ثلاث خطوات مترابطة: أولاً، بناء ربط تفسيري مباشر بين الثقافة والسلوك والشخصية ضمن نموذج تحليلي واحد، بدل معالجة كل عنصر بمعزل عن الآخر. ثانياً، تقديم تحليل جيلاني مضبوط يحدد خصائص كل جيل وفق سياق تشكله، بما يسمح بفهم اختلاف الاستجابات الثقافية والسلوكية بين الأجيال. ثالثاً، إدماج التحول الرقمي ضمن المسار الثقافي والسلوكي بوصفه بيئة نشئة جديدة، لا مجرد عامل خارجي، بما يساعد على تفسير التحول في الشخصية الخليجية بصورة أكثر واقعية وتوازناً. وبذلك، تمثل الورقة إضافة علمية وتطبيقية تساهم في تطوير فهم أعمق للتحول الجيلاني في الخليج العربي، وتقدم أرضية تحليلية يمكن البناء عليها في دراسات ميدانية لاحقة أكثر تفصيلاً.

المنهج ونوع الدراسة

اعتمدت في هذه الورقة البحثية منهجاً وصفيًا تحليليًا يقوم على وصف الظاهرة الاجتماعية في سياقها العام، ثم الانتقال إلى تحليلها وتفسير العلاقات التي تربط بين عناصرها الأساسية. ويأتي اختيار هذا المنهج من طبيعة موضوع الدراسة الذي يتناول التحولات الثقافية والسلوكية في مجتمعات الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم، ويركز على

أثر هذه التحولات في بناء الشخصية عبر الأجيال. فهذه الظاهرة ليست قابلة للمعالجة عبر قياس رقمي مباشر أو عبر اختبار فرضيات تجريبية ضيقة، لأنها ظاهرة مركبة تتداخل فيها عوامل اقتصادية واجتماعية وإعلامية وتكنولوجية، وتنتج آثارًا تمتد إلى مستويات القيم والهوية والتنشئة والسلوك اليومي. لذلك، يتطلب الموضوع منهجًا يسمح بتفكيك الظاهرة إلى مكوناتها، وتحليل مساراتها التاريخية، ثم إعادة تركيبها في تفسير علمي متماسك يوضح كيف تنتقل التحولات الثقافية إلى السلوك ثم إلى الشخصية. وتدرج هذه الورقة ضمن الدراسات التحليلية المعتمدة على الأدبيات، حيث تم التركيز على بناء قراءة تفسيرية تستند إلى مراجعة منظمة للدراسات السابقة العربية والخليجية والأجنبية، وربطها بالسياق الخليجي وفق منظور جيلي. وتم اعتماد هذا التصميم لأن هدف الورقة لا يتمثل في تقديم نتائج ميدانية جديدة بقدر ما يتمثل في تقديم تفسير علمي مركب يوضح ديناميات التحول الجيلي في الخليج، ويعيد تنظيم ما قدمته الأدبيات في نموذج تفسيري واضح. كما أن اعتماد التحليل الأدبياتي يسمح بتجاوز النظرة التجزئية التي ظهرت في كثير من الدراسات، عبر دمج نتائج الأدبيات في مسار واحد يربط بين الثقافة والسلوك وبناء الشخصية، ويعالج التحول الرقمي بوصفه بيئة تنشئة جديدة لا مجرد عامل خارجي.

واعتمدت في تنفيذ هذا التصميم المنهجي ثلاث أدوات تحليلية مترابطة. الأداة الأولى هي تحليل المحتوى العلمي للدراسات والكتب والمقالات التي تناولت موضوع الأجيال والتحول الثقافي والسلوك الاجتماعي وبناء الهوية والتنشئة الاجتماعية. وقد تم التعامل مع هذه المادة العلمية بوصفها قاعدة معرفية تسمح برصد المفاهيم الأساسية والاتجاهات النظرية والنتائج المتكررة، مع التركيز على الدراسات التي تقدم تفسيرًا للعلاقة بين الثقافة والسلوك والشخصية. الأداة الثانية هي تحليل الوثائق المرتبطة بالتحولات الاجتماعية في الخليج، مثل التقارير العامة ذات الصلة بالشباب، والتحول الرقمي، والتعليم، والأسرة، بوصفها وثائق تساعد على فهم السياق العام الذي تشكلت داخله الأجيال المختلفة. أما الأداة الثالثة فهي التحليل المقارن الذي تم توظيفه لمقارنة نتائج الدراسات الخليجية بنتائج الدراسات الأجنبية الداعمة، ليس بهدف المقارنة بين مجتمعات مختلفة في حد ذاتها، بل بهدف الاستفادة من الأدوات المفاهيمية والنماذج التفسيرية الأجنبية في فهم التحول الخليجي بصورة أدق.

ولتجنب الوقوع في عرض سردي غير منظم، تم اعتماد إجراءات واضحة في تحليل المادة العلمية. فقد بدأت العملية بمرحلة جمع المصادر وتصنيفها وفق محاور محددة (الثقافة والقيم - السلوك الاجتماعي - الهوية - التنشئة - التحول الرقمي)، ثم تم استخراج وحدات تحليل رئيسية داخل كل محور، مثل: القيم الأسرية، العلاقة بالسلطة، أنماط التواصل،

الفردانية، الانتماء، الهوية الرقمية، تأثير الإعلام، دور المدرسة، دور الأقران. بعد ذلك تم ربط هذه الوحدات ضمن مسار زمني يوضح انتقال المجتمع الخليجي من مرحلة الثمانينات إلى مرحلة التسعينات وبداية الألفية ثم إلى مرحلة الجيل الرقمي. كما تم اعتماد منطق "السبب والنتيجة" في تفسير الظاهرة: أي تحديد التحول الثقافي في كل مرحلة، ثم رصد انعكاسه السلوكي، ثم تحليل أثره على بناء الشخصية.

أما مبررات اختيار هذا المنهج فتعود إلى أن الورقة تسعى إلى تقديم تفسير علمي متوازن يتجنب التبسيط. فالتغير الجيلي في الخليج لا يمكن فهمه بوصفه تحولاً سلوكياً فقط، ولا بوصفه تحولاً قيمياً مجرداً، بل بوصفه تفاعلاً بين الثقافة والسلوك داخل سياقات تنشئة متغيرة. والمنهج الوصفي التحليلي يتيح هذا النوع من التفسير، لأنه يسمح بدمج البعد التاريخي مع البعد الثقافي والسلوكي، وتقديم قراءة مركبة تفسر الفروق بين الأجيال دون الوقوع في أحكام معيارية أو تعميمات غير دقيقة.

حدود الدراسة + المفاهيم الإجرائية

تقوم هذه الورقة البحثية على تحديد حدود واضحة تساعد على ضبط الموضوع ومنع اتساعه بصورة تؤثر على دقة التحليل. فموضوع "تأثير الثقافة والسلوك على بناء الشخصية عبر الأجيال" موضوع واسع بطبيعته، ويمكن أن يتشعب إلى مسارات متعددة إذا لم يتم ضبطه بحدود زمنية ومجالية وموضوعية محددة. لذلك، تم اعتماد ثلاثة أنواع من الحدود: حدود زمنية، وحدود مجالية، وحدود موضوعية، إضافة إلى تحديد المفاهيم الإجرائية الأساسية التي تمثل مفاتيح القراءة والتحليل في الورقة البحثية.

تتمثل الحدود الزمنية في أن الورقة تغطي مرحلة ممتدة من الثمانينات حتى اليوم، مع التركيز على التحولات الكبرى التي شكلت انتقال المجتمع الخليجي عبر أجيال متعاقبة. وقد تم اختيار الثمانينات كنقطة بداية لأنها تمثل مرحلة مفصلية في تشكل كثير من التحولات الاجتماعية المرتبطة بالطفرة الاقتصادية، واتساع التعليم، والتحضر، وبداية الانفتاح الإعلامي، وهي عوامل أسست لبناء خصائص جيل كامل من حيث الثقافة والسلوك. أما "حتى اليوم" فتعني إدراج المرحلة الرقمية المعاصرة التي شهدت انتقالاً نوعياً في طبيعة التنشئة والسلوك والهوية، بحيث أصبح الفضاء الرقمي أحد أهم البيئات المؤثرة في بناء الشخصية. ويضاف إلى ذلك أن الباحث بدأ الاهتمام العلمي والمتابعة المنظمة لموضوع الدراسة منذ عام 2023، وهو ما يعني أن التحليل الحالي يتضمن وعياً خاصاً بالمرحلة الراهنة، لكن دون إلغاء البعد التاريخي الممتد الذي يفسر التحول.

أما الحدود المجالية فتتعلق بأن الورقة تركز على مجتمعات الخليج العربي بوصفها المجال الأساسي للتحليل، مع التعامل مع الخليج باعتباره سياقًا اجتماعيًا وثقافيًا متقاربًا في خصائصه العامة من حيث سرعة التحول الاجتماعي، وارتفاع تأثير الاقتصاد الريعي، وتوسع الدولة الحديثة، ووجود ثقافة أسرية تقليدية قوية، ثم دخول التحول الرقمي بصورة متسارعة. ولا يعني ذلك إلغاء الفروق بين دول الخليج، لكنه يعني أن الورقة تتجه إلى تحليل الظاهرة على مستوى السياق الخليجي العام، بوصفه سياقًا يتيح فهم التحول الجليي ضمن شروط تاريخية متشابهة. وفي المقابل، يتم توظيف الأدبيات الأجنبية بوصفها أدوات تحليلية داعمة، وليس بوصفها مجالًا تطبيقيًا للدراسة.

وتتمثل الحدود الموضوعية في أن الورقة تركز على ثلاث وحدات مترابطة: الثقافة، السلوك، بناء الشخصية، ضمن منظور جيلي. أي أن الثقافة تُفهم بوصفها منظومة قيم ورموز ومعايير اجتماعية، والسلوك يُفهم بوصفه ممارسة يومية تعكس هذه الثقافة وتعيد إنتاجها أو تعديلها، أما بناء الشخصية فيُفهم بوصفه تشكل الهوية والاتجاهات وأنماط التفاعل والاستقلالية والانتماء لدى الفرد داخل المجتمع. لذلك لا تتوسع الورقة في موضوعات خارج هذا الإطار مثل التحليل السياسي أو الاقتصادي التفصيلي أو دراسة السياسات العامة، إلا بقدر ما يخدم تفسير التحول الثقافي والسلوكي.

وفيما يتعلق بالمفاهيم الإجرائية، تم اعتماد تعريفات عملية مختصرة تساعد على توحيد الفهم داخل الورقة. ف الثقافة تعني هنا: النسق القيمي والرمزي الذي يوجه السلوك داخل المجتمع، ويحدد معايير المقبول والمرفوض، ويؤثر في تصورات الأفراد عن الذات والآخر. أما السلوك فيقصد به: أنماط الممارسة اليومية للفرد داخل الأسرة والمجتمع، بما يشمل أساليب التواصل، وطريقة اتخاذ القرار، والعلاقة بالسلطة، وأنماط الاستهلاك، وأشكال التفاعل الاجتماعي. ويقصد ب بناء الشخصية: تشكل الهوية الفردية والاجتماعية، وتكوين الاتجاهات والقيم الداخلية، ومستوى الاستقلالية والمسؤولية، وقدرة الفرد على التكيف والتوافق داخل المجتمع. أما الهوية فتعني: الصورة التي يبنها الفرد عن ذاته وانتمائه ومعناه الاجتماعي، سواء كانت هوية واقعية أو رقمية. ويقصد ب التنشئة الاجتماعية: العملية التي يكتسب الفرد عبرها القيم والمعايير والسلوكيات من الأسرة والمدرسة والإعلام والأقران والفضاء الرقمي. ويقصد ب التحول الرقمي: انتقال جزء كبير من الثقافة والتفاعل الاجتماعي إلى البيئة الرقمية، بما يؤدي إلى تغيير أنماط التواصل والتعلم والهوية، ويعيد تشكيل معايير السلوك.

## الإطار النظري

### الثقافة وتشكل الشخصية + تصنيف الأجيال

يشكل مفهوم الثقافة نقطة الانطلاق الأساسية لفهم تشكل الشخصية داخل المجتمع، لأن الثقافة لا تعني مجرد عادات أو تقاليد ظاهرية، بل تمثل نسقاً مركباً من القيم والرموز والمعايير والتصورات التي تحدد ما يعتبره المجتمع مقبولاً أو مرفوضاً، وتؤطر علاقة الفرد بذاته وبالآخرين وبالسلطة والعمل. ومن خلال تتبع التحولات في مجتمعات الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم، يظهر أن الثقافة لم تبق ثابتة على نمط واحد، بل عرفت تحولات متسارعة بفعل الانتقال من أنماط عيش تقليدية قائمة على الجماعة والأسرة الممتدة إلى أنماط حديثة اتسمت بالتحضر، واتساع التعليم، والانفتاح الإعلامي، ثم دخول التكنولوجيا الرقمية بوصفها بيئة ثقافية جديدة. وهذا التحول الثقافي انعكس على بناء الشخصية عبر الأجيال، لأن الشخصية لا تتشكل في فراغ، بل تُبنى داخل مرجعيات ثقافية تنتج معايير السلوك وتحدد أفق الهوية والانتماء. وتؤكد الأدبيات السوسيولوجية أن الثقافة تعمل بوصفها "إطاراً موجهاً للفعل"، حيث يتعلم الفرد من خلالها كيف يتصرف، وكيف يقيم ذاته، وكيف يتخذ قراراته داخل المجتمع (Giddens, 1991).

وفي السياق الخليجي، يمكن ملاحظة أن الثقافة التقليدية التي سادت قبل مرحلة التحول السريع كانت تتميز بسمات مثل مركزية الأسرة، واحترام السلطة الأبوية، ووضوح المرجعيات الدينية والاجتماعية، وتقديم الجماعة على الفرد، وهي سمات تركت أثراً مباشراً على بناء الشخصية لدى جيل الثمانينات من حيث الانضباط الاجتماعي، والالتزام بالقيم الجمعية، والاعتماد على شبكات القرابة في تشكيل الهوية. لكن مع التسارع الاقتصادي والاجتماعي منذ الثمانينات، بدأت المرجعيات الثقافية تتغير تدريجياً؛ فظهرت قيم جديدة مرتبطة بالتعليم والوظيفة والمكانة الاجتماعية الحديثة، وتوسع الانفتاح الإعلامي ليقدم نماذج سلوكية مختلفة، ثم جاء التحول الرقمي ليحدث نقلة نوعية في طبيعة الثقافة نفسها، حيث لم تعد القيم والمعايير تُكتسب فقط من الأسرة والمدرسة، بل أصبحت تُنتج أيضاً داخل الفضاء الرقمي الذي يعيد تشكيل الرموز وأنماط التفاعل الاجتماعي (Castells, 2010).

ومن هنا، يصبح تحليل تشكل الشخصية عبر الأجيال مرتبطاً بقدرتنا على تصنيف الأجيال الخليجية وفق السياقات التاريخية والثقافية التي نشأت فيها. ففكرة "الجيل" في التحليل السوسيولوجي لا تُفهم باعتبارها فرقة عمرية فقط، بل باعتبارها تجربة تاريخية مشتركة تصنع وعياً وسلوكاً وخصائص شخصية مختلفة (Mannheim, 1952).

وبناء على ذلك، تم اعتماد تصنيف يميز بين ثلاثة أجيال كبرى: جيل الثمانينات، وجيل التسعينات وبداية الألفية، والجيل الرقمي. ويسمح هذا التصنيف بفهم أن اختلاف الشخصية بين الأجيال ليس اختلافاً فردياً، بل اختلاف في شروط التكوين الثقافي وأنماط التنشئة والبيئات الاجتماعية.

وفيما يلي جدول (2) الذي يلخص الخصائص الثقافية والسلوكية للأجيال الخليجية وعلاقتها بملامح بناء الشخصية:

جدول (2): الخصائص الثقافية والسلوكية للأجيال الخليجية (الثمانينات-التسعينات/الألفية-الجيل الرقمي)

الجيل	السياق التاريخي	القيم المهيمنة	أنماط السلوك	ملامح الشخصية	بناء	
جيل الثمانينات	طفرة اقتصادية + مجتمع أكثر استقراراً + أسرة ممتدة قوية	الجماعة، الطاعة، الانضباط، الاحترام، السلطة، المحافظة	تواصل مباشر، اجتماعي، منضبط، مكانة للعرف	أسري التزم، سلوك قيمي، مكانة اجتماعية	هوية جمعية، انتماء أسري قوي، اتزان قيمي، مسؤولية اجتماعية	بناء
جيل التسعينات وبداية الألفية	تحضر متسارع + توسع التعليم + انفتاح إعلامي + مرحلة انتقالية	ازدواجية قيمة (محافظة/انفتاح)، نجاح اجتماعي، تعليم	توازن بين التقليدي والحديث، سلوك تفاوضي، توسع العلاقات	توازن بين التقليدي والحديث، سلوك تفاوضي، توسع العلاقات	هوية مزدوجة، استقلالية نسبية، مرونة قيمة، حساسية للقبول الاجتماعي	
الجيل الرقمي (2005-اليوم تقريباً)	هيمنة الإنترنت + وسائل التواصل + تراجع الضبط التقليدي	الفردانية، حرية التعبير، التعدد، الصورة الاجتماعية	تفاعل مكثف، علاقات افتراضية، التغيير، استهلاكي رمزي	رقمي مكثف، علاقات افتراضية، سرعة سلوك إعادة الانتماء	هوية رقمية/متعددة، استقلالية عالية، توتر مرجعي محتمل، إعادة تعريف	

يتضح من هذا الجدول أن الثقافة ليست مجرد خلفية عامة، بل هي عنصر حاسم في إنتاج السلوك، وأن تراكم السلوك داخل بيئات التنشئة المختلفة يؤدي في النهاية إلى تشكل ملامح شخصية مميزة لكل جيل. وبذلك، يصبح فهم بناء الشخصية في الخليج مرتبطاً بفهم التحولات الثقافية التي أعادت إنتاج القيم والرموز والمعايير، ثم انعكست على السلوك اليومي، ثم على الهوية والاستقلالية والانتماء.

السلوك بوصفه ترجمة للثقافة + التنشئة الاجتماعية كوسيط

يمثل السلوك الاجتماعي الحلقة التي تربط بين الثقافة بوصفها نسقاً رمزياً وقيماً، وبين الشخصية بوصفها بنية نفسية واجتماعية تتشكل تدريجياً عبر الزمن. فالثقافة لا تظهر في الواقع على هيئة شعارات أو أفكار مجردة، بل تتجسد في الممارسة اليومية للأفراد: في طريقة الكلام، وفي أسلوب التواصل، وفي نمط العلاقات داخل الأسرة وخارجها، وفي تصور الفرد لذاته ومكانته، وفي سلوكيات الالتزام أو الرفض، وفي العلاقة بالسلطة والعمل والمعرفة. ومن هنا، يصبح تحليل السلوك ضرورة لفهم التحولات الثقافية ذاتها، لأن السلوك يكشف كيف تُستوعب القيم والمعايير داخل المجتمع وكيف يعاد إنتاجها أو تعديلها. وفي مجتمعات الخليج العربي، يظهر بوضوح أن التحولات الثقافية منذ الثمانينات لم تكن تحولات نظرية فقط، بل كانت تحولات سلوكية ملموسة: تغيرت العلاقات الأسرية، وتغيرت أساليب التربية، وتبدلت أنماط الاستهلاك، وتغيرت لغة التواصل بين الأجيال، وظهرت أنماط جديدة من التعبير عن الذات، خصوصاً مع التحول الرقمي الذي أدخل أشكالاً جديدة من السلوك الاجتماعي غير المسبوق.

ويكشف التحليل الجيلي أن السلوك لدى جيل الثمانينات كان مرتبطاً بصورة قوية بثقافة الجماعة وبالضبط الاجتماعي التقليدي. فقد كانت الأسرة الممتدة، والعرف الاجتماعي، والرقابة المجتمعية، تشكل منظومة ضغط إيجابي تحافظ على سلوك منضبط وتحدد للفرد إطاراً واضحاً لما ينبغي فعله وما ينبغي تجنبه. وكانت الشخصية في هذا السياق تميل إلى الامتثال، واحترام السلطة الأسرية، وإعطاء الأولوية للعلاقات الاجتماعية المباشرة. لكن مع انتقال المجتمع إلى مرحلة أكثر تحضراً، ومع توسع التعليم وظهور أنماط عمل جديدة، بدأ السلوك يتحول تدريجياً لدى جيل التسعينات وبداية الألفية؛ فظهر سلوك تفاوضي أكثر من كونه سلوك امتثال، وأصبحت العلاقات الاجتماعية أكثر اتساعاً خارج الأسرة، وارتفع تأثير المدرسة والجامعة والإعلام في تشكيل المواقف. أما الجيل الرقمي فقد شهد انتقالاً نوعياً في السلوك، إذ لم يعد التواصل الاجتماعي محصوراً في المجال الواقعي، بل أصبح جزءاً كبيراً

منه يتم داخل الفضاء الرقمي، ما أدى إلى تغير في مفهوم الخصوصية، وفي معيار القبول الاجتماعي، وفي أساليب بناء العلاقات.

غير أن فهم التحول السلوكي لا يكتمل إذا لم يتم تفسيره عبر مفهوم التنشئة الاجتماعية بوصفها الآلية الأساسية التي تنتقل من خلالها الثقافة إلى السلوك ثم إلى الشخصية. فالتنشئة ليست عملية تلقين مباشر، بل عملية اجتماعية ممتدة يتعلم الفرد عبرها كيف يفكر وكيف يتصرف وكيف ينتمي، من خلال التفاعل اليومي مع الأسرة والمدرسة والأقران والإعلام. وتقدم النظرية الإيكولوجية للتنشئة تصوراً دقيقاً لهذه العملية، حيث ترى أن الشخصية تتشكل نتيجة تفاعل الفرد مع بيئات متعددة ومتراصة، وليس داخل الأسرة فقط (Bronfenbrenner, 1979). وعند تطبيق هذا المنظور على الخليج، يظهر أن بيئات التنشئة تغيرت جذرياً منذ الثمانينات؛ فبينما كانت الأسرة هي البيئة الأقوى في نقل الثقافة وضبط السلوك، أصبحت المدرسة والإعلام ثم الفضاء الرقمي منافسين حقيقيين للأسرة في تشكيل القيم والاتجاهات والسلوكيات. ويبرز أثر التحول الرقمي هنا بصورة واضحة؛ إذ لم يعد الفضاء الرقمي مجرد قناة لنقل الثقافة، بل أصبح بيئة تنتج ثقافة فرعية خاصة بالشباب، لها لغتها ورموزها ومعاييرها. وتشير أدبيات المجتمع الشبكي إلى أن التكنولوجيا الرقمية أعادت توزيع السلطة الرمزية داخل المجتمع؛ فلم تعد المعرفة محتكرة لدى الأسرة أو المدرسة، بل أصبحت متاحة بصورة واسعة داخل الشبكات، ما أدى إلى تغير في علاقة الأبناء بالآباء، وفي مفهوم المرجعية، وفي أساليب اتخاذ القرار (Castells, 2010). كما أن البيئة الرقمية أعادت تعريف مفهوم "الذات"، إذ أصبح الفرد يبني صورته الاجتماعية داخل المنصات، ويتفاعل مع تقييم الآخرين بصورة مستمرة، ما ينعكس على سلوكه الواقعي وعلى بناء شخصيته من حيث تقدير الذات والبحث عن الاعتراف الاجتماعي. وتؤكد دراسات الهوية الرقمية أن الشخصية الحديثة أصبحت تتشكل في فضاء مزدوج: فضاء واقعي وفضاء رقمي، وأن هذا الازدواج قد يؤدي إلى تعدد الهويات أو توترها إذا لم يتم ضبطها بقيم واضحة (Turkle, 2011). وبذلك، يمكن القول إن السلوك يمثل المجال الأكثر وضوحاً لفهم التحولات الثقافية في الخليج، وأن التنشئة الاجتماعية هي الوسيط الذي يفسر انتقال الثقافة إلى السلوك ثم إلى الشخصية. فالتغير في السلوك بين الأجيال ليس نتيجة رغبة فردية عشوائية، بل نتيجة تغير في البيئات التي تعلم فيها الفرد قيمه ومعاييرها، وتغير في المرجعيات التي توجه اختياراته، وهو ما يجعل بناء الشخصية في الخليج اليوم أكثر تعقيداً من الماضي، وأكثر ارتباطاً بتعدد المؤثرات وتنافسها.

## نظرية الأجيال + المسار التاريخي للأجيال الخليجية

من خلال تحليل الأدبيات السوسولوجية التي تناولت مفهوم الأجيال، يتضح أن الاختلاف بين الأجيال لا يمكن تفسيره على أساس الفارق العمري وحده، بل يرتبط بصورة مباشرة بالسياقات التاريخية والثقافية التي تشكلت فيها خبرة كل جيل. ويكشف تتبع هذا المفهوم أن "الجيل" يمثل بناءً اجتماعيًا تشكله الأحداث الكبرى والتحويلات العميقة التي يعيشها الأفراد في مرحلة التكوين، فتؤثر في وعيهم وسلوكهم وطريقة إدراكهم للذات والمجتمع. وعند إسقاط هذا المنظور على مجتمعات الخليج العربي، يظهر أن التحويلات المتسارعة منذ الثمانينات خلقت بيئات ثقافية متميزة، أنتجت بدورها أنماطًا مختلفة من السلوك، وأسهمت في تشكيل ملامح شخصية متباينة بين الأجيال المتعاقبة. ومن ثم، فإن فهم بناء الشخصية في الخليج لا ينفصل عن فهم التحول في السياق الثقافي والاجتماعي الذي عاشه كل جيل.

ويكشف التحليل التاريخي لمسار التحول الاجتماعي في الخليج أن جيل الثمانينات تشكل داخل بيئة ثقافية أكثر استقرارًا ووضوحًا في المرجعيات، حيث كانت الأسرة الممتدة تشكل مركز التنشئة الأساسي، وكانت القيم الجماعية، واحترام السلطة الأسرية، والالتزام بالمعايير الاجتماعية، عناصر حاکمة للسلوك اليومي. ونتيجة لذلك، تبلورت شخصية هذا الجيل في إطار هوية جمعية قوية، وانتماء اجتماعي واضح، وسلوك يتسم بالامتثال والانضباط. ويظهر من خلال مقارنة هذا الجيل بالأجيال اللاحقة أن الشخصية لم تكن آنذاك مجالًا واسعًا للاختيار الفردي، بل كانت تشكل ضمن حدود ثقافية واجتماعية واضحة، تحدد للفرد أدواره ومساراته بصورة شبه مستقرة.

ومع الانتقال إلى جيل التسعينات وبداية الألفية، يكشف التحليل عن مرحلة انتقالية اتسمت بازدياد المرجعيات الثقافية. ففي هذه المرحلة، استمرت القيم التقليدية فاعلة داخل الأسرة والمجتمع، لكن في المقابل توسع التعليم، وتكاثف الانفتاح الإعلامي، وبدأت تظهر نماذج سلوكية جديدة مرتبطة بالنجاح الفردي والمكانة الاجتماعية الحديثة. ويظهر من خلال تحليل هذه المرحلة أن الشخصية أصبحت أكثر مرونة مقارنة بالجيل السابق، حيث بدأ الفرد يتعامل مع القيم على نحو تفاوضي، لا على نحو امتثالي مطلق. كما أصبحت الهوية أقل تجانسًا، إذ تداخلت المرجعيات المحلية مع التأثيرات الخارجية، ما أفرز شخصية قادرة على التكيف، لكنها في الوقت نفسه عرضة للتذبذب القيمي. ويكشف هذا التحول أن بناء الشخصية لم يعد نتاج ثقافة واحدة متجانسة، بل نتيجة تفاعل بين ثقافتين: ثقافة موروثية وثقافة حديثة قيد التشكل. أما الجيل الرقمي، فيكشف التحليل أنه تشكل داخل سياق ثقافي مختلف

جذريًا، حيث لم تعد الأسرة والمدرسة وحدهما مصدر التنشئة، بل دخل الفضاء الرقمي بوصفه بيئة ثقافية واجتماعية فاعلة في إنتاج القيم والسلوك. ويظهر من خلال تتبع أنماط السلوك لدى هذا الجيل أن الشخصية أصبحت أكثر ارتباطًا بثقافة الاختيار والتعبير عن الذات، وأكثر تعرضًا لتعدد المرجعيات وتسارع التغيير. كما أن الهوية لم تعد ثابتة أو أحادية، بل أصبحت متعددة ومتحركة، تتشكل عبر التفاعل المستمر داخل المنصات الرقمية. ويكشف هذا الواقع أن بناء الشخصية لدى الجيل الرقمي يتم في فضاء مزدوج: واقعي ورقمي، ما يفرض تحديات جديدة تتعلق بالاتزان القيمي والاستقرار النفسي والانتماء الاجتماعي.

ومن خلال المقارنة بين هذه الأجيال، يتضح أن الفجوة الجيلية في الخليج ليست نتاج "اختلاف طباع" أو "ضعف قيم"، بل نتيجة اختلاف جذري في شروط التنشئة والسياق الثقافي. فكل جيل تشكل داخل منظومة قيم ومعايير وسلوكيات مختلفة، ما انعكس على طريقة فهمه للعالم، وعلى أسلوب تفاعله مع الأسرة والمجتمع. ويظهر أن كثيرًا من مظاهر التوتر بين الأجيال يمكن تفسيرها بوصفها صدامًا بين منطقتين ثقافيتين مختلفتين، لا بوصفها أزمة أخلاقية أو انحرافًا سلوكيًا. كما يكشف التحليل أن التحول الرقمي لم يكن عاملاً إضافيًا فحسب، بل شكّل قطعة جزئية مع أنماط التنشئة السابقة، وأعاد تعريف السلطة والمعرفة والهوية داخل المجتمع الخليجي.

وبذلك، يسمح المدخل الجيلي بفهم بناء الشخصية في الخليج بوصفه مسارًا تاريخيًا متغيرًا، تتحكم فيه التحولات الثقافية والسلوكية أكثر مما تتحكم فيه الخصائص الفردية. ويبرز من هذا التحليل أن الشخصية الخليجية ليست كيانًا ثابتًا، بل بناء اجتماعي يتشكل ويتغير بتغير السياق، وهو ما يجعل دراسة الأجيال أداة مركزية لفهم التحول الاجتماعي منذ الثمانينات حتى اليوم.

#### آليات التأثير + دوائر التأثير في بناء الشخصية

من خلال تحليل مسار التحولات الثقافية والسلوكية في الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم، يظهر أن بناء الشخصية لم يعد عملية بسيطة تُختزل في عامل واحد مثل الأسرة أو المدرسة، بل أصبح نتيجة لتفاعل معقد بين عدة دوائر تأثير تعمل في الوقت نفسه، وتتداخل أحيانًا وتتعارض أحيانًا أخرى. ويكشف تتبع هذه الدوائر أن الشخصية الخليجية عبر الأجيال تشكلت وفق تغير مركز القوة داخل منظومة التنشئة: ففي مرحلة الثمانينات كانت الأسرة تمثل الدائرة الأقوى في نقل الثقافة وضبط السلوك، بينما بدأت دوائر أخرى تكتسب نفوذًا تدريجيًا مع توسع التعليم والانفتاح الإعلامي، ثم حدث تحول نوعي مع دخول التكنولوجيا الرقمية التي أعادت توزيع التأثيرات داخل

المجتمع. ويعني ذلك أن التحول في الشخصية لا يمكن تفسيره بوصفه تغييراً فردياً أو نفسياً فقط، بل بوصفه تغييراً في “بنية التأثير الاجتماعي” التي تنتج القيم والسلوكيات وتعيد تشكيل الهوية والانتماء.

وتكشف المقارنة بين الأجيال أن الأسرة كانت تاريخياً المركز الأساسي للتنشئة في الخليج، لأنها لم تكن مجرد وحدة اجتماعية، بل كانت مؤسسة ثقافية تنقل القيم وتحدد المعايير وتضبط السلوك. وفي جيل الثمانينات يظهر أثر الأسرة في قوة الهوية الجماعية والانتماء العائلي، وفي حضور قيم الطاعة واحترام السلطة. لكن مع التحولات الاقتصادية والتحضر، بدأت الأسرة تفقد بعض أدوارها التقليدية، ليس بسبب تراجع قيمتها، بل بسبب تغير شروط الحياة: عمل الوالدين، تقلص الأسرة الممتدة، اتساع الاعتماد على المدرسة، وتغير طبيعة الوقت داخل المنزل. ويظهر من التحليل أن هذا التحول أدى إلى انتقال جزء من وظيفة التنشئة إلى دوائر أخرى، ما جعل بناء الشخصية أقل ارتباطاً بمرجعية واحدة وأكثر عرضة لتعدد المرجعيات. أما المدرسة والمؤسسة التعليمية فتظهر كدائرة تأثير متصاعدة منذ الثمانينات، لأنها أصبحت مصدراً للمعرفة وللقيم الحديثة المرتبطة بالنجاح الفردي والانضباط المؤسسي والإنجاز. ويكشف التحليل أن توسع التعليم في الخليج لم يغير مهارات الشباب فقط، بل غير طريقة التفكير ومفهوم الذات، حيث أصبحت الشخصية ترتبط بمفاهيم مثل الطموح، والتخطيط، والمنافسة، وهي مفاهيم لم تكن بذات القوة في الثقافة التقليدية. ومع ذلك، فإن المدرسة لا تعمل في فراغ؛ فهي تتفاعل مع الأسرة، وقد تنتج أحياناً توتراً قيمياً لدى الشباب عندما تقدم معايير تختلف عن المعايير الأسرية، خاصة في مرحلة التسعينات وبداية الألفية حيث ظهرت ازدواجية واضحة بين مرجعية تقليدية وأخرى حديثة.

وتظهر وسائل الإعلام كدائرة تأثير ثالثة لعبت دوراً محورياً في نقل الثقافة العالمية إلى الخليج منذ نهاية الثمانينات وبداية التسعينات. ويكشف التحليل أن الإعلام لم يقتصر على الترفيه، بل أدخل نماذج جديدة للنجاح، وللعلاقات الاجتماعية، وللأسلوب الحياتي، ما انعكس على السلوك اليومي وعلى بناء الشخصية، خصوصاً لدى جيل التسعينات. ويمكن تفسير هذا التأثير ضمن التحول نحو “ثقافة الصورة” التي تجعل الفرد أكثر اهتماماً بالظهور الاجتماعي وبالاعتراف الرمزي داخل المجتمع. ومع التحول الرقمي، لم يعد الإعلام قناة أحادية الاتجاه، بل أصبح تفاعلياً، ما ضاعف أثره على السلوك والهوية.

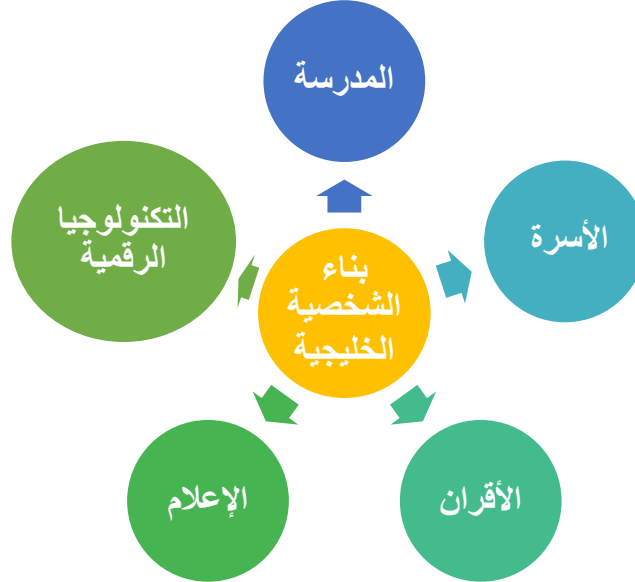
أما جماعة الأقران فتظهر كدائرة تأثير تتوسع قوتها كلما تراجعت بعض آليات الضبط التقليدي. ويكشف التحليل أن الأقران أصبحوا في مرحلة التحضر والحدثة أكثر تأثيراً في تشكيل السلوك، لأنهم يمثلون مساحة للتجريب

الاجتماعي وبناء الهوية خارج رقابة الأسرة. ومع ظهور الفضاء الرقمي، لم تعد جماعة الأقران محصورة في الواقع المحلي، بل أصبحت ممتدة داخل الشبكات، ما زاد من تنوع التأثيرات الثقافية على الشباب، وجعل السلوك أكثر تغيراً وسرعة.

وتأتي التكنولوجيا الرقمية كأكثر الدوائر تأثيراً في المرحلة المعاصرة، لأنها لم تضيف وسيلة تواصل فقط، بل أنتجت بيئة ثقافية جديدة تعيد تشكيل القيم والمعايير. ويظهر من الأدبيات أن المجتمع الشبكي يعيد توزيع السلطة الرمزية، ويجعل المعرفة والتأثير أكثر انتشاراً خارج المؤسسات التقليدية (Castells, 2010). كما تكشف دراسات الهوية الرقمية أن الشخصية أصبحت تتشكل في فضاءين متداخلين، وأن إدارة الذات أصبحت مرتبطة بالصورة الرقمية وبالفاعل المستمر مع تقييم الآخرين، ما ينعكس على السلوك وعلى الاتزان النفسي (Turkle, 2011). ومن هنا، يمكن تفسير كثير من مظاهر التحول في شخصية الجيل الرقمي بوصفها نتاجاً لهيمنة دائرة التكنولوجيا على دوائر التنشئة الأخرى.

وفي ضوء ذلك، يصبح فهم بناء الشخصية في الخليج مرتبطاً بفهم توازن هذه الدوائر: متى تكون الأسرة هي المركز؟ ومتى تتقدم المدرسة؟ ومتى يصبح الإعلام والتكنولوجيا هما المرجعية الأقوى؟ وهذا التحليل يساعد على تفسير الفروق الجيلية بصورة واقعية، لأن كل جيل عاش توزيعاً مختلفاً للقوة بين دوائر التأثير.

شكل (3): دوائر التأثير في بناء الشخصية الخليجية (الأسرة-المدرسة-الإعلام-الأقران-التكنولوجيا)



النموذج التفسيري المركزي للعلاقة بين الثقافة والسلوك وبناء الشخصية

من خلال التحليل الذي انطلق من تتبع التحولات الاجتماعية في الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم، يظهر أن تفسير تشكّل الشخصية عبر الأجيال لا يمكن أن يكتفي بوصف الفروق بين جيل وآخر، ولا بتفسيرها على أنها اختلاف طبيعي في الأعمار أو في أساليب الحياة، بل يحتاج إلى نموذج يوضح "المسار" الذي تنتقل عبره التحولات من مستوى الثقافة إلى مستوى الشخصية. وقد كشفت قراءة التحولات الخليجية أن كثيراً من النقاشات تخلط بين ثلاثة مستويات: الثقافة، والسلوك، والشخصية؛ فُتفسّر التحولات أحياناً على أنها تغير في القيم فقط، أو تُقرأ على أنها تغير في السلوك فقط، أو تُقدّم على أنها أزمة شخصية لدى الشباب. غير أن التحليل يبين أن هذه المستويات ليست منفصلة، بل مرتبطة بسلسلة تأثير واضحة: الثقافة تنتج السلوك، والسلوك يعيد تشكيل الشخصية، ثم تعود الشخصية—من خلال الممارسة—لتسهم تدريجياً في تعديل الثقافة نفسها داخل المجتمع.

ويكشف التحليل أن الثقافة تمثل نقطة البداية في هذا المسار، لأنها تقدم للفرد "خريطة المعنى" التي يفهم بها العالم: ما الذي يعتبره المجتمع صحيحاً أو خاطئاً، مقبولاً أو مرفوضاً، محترماً أو غير محترم. وفي مرحلة الثمانينات، كانت الثقافة الخليجية أكثر وضوحاً في مرجعياتها، وأكثر اعتماداً على الجماعة والأسرة، وهو ما أنتج قيماً قوية مرتبطة بالانضباط، والطاعة، والالتزام، واحترام السلطة. ومع تراكم التحولات الاقتصادية والتحضر وتوسع التعليم والانفتاح الإعلامي، بدأت الثقافة تتغير تدريجياً؛ فظهرت قيم جديدة مرتبطة بالنجاح الفردي، وبالاستقلالية، وبالاختيار، ثم

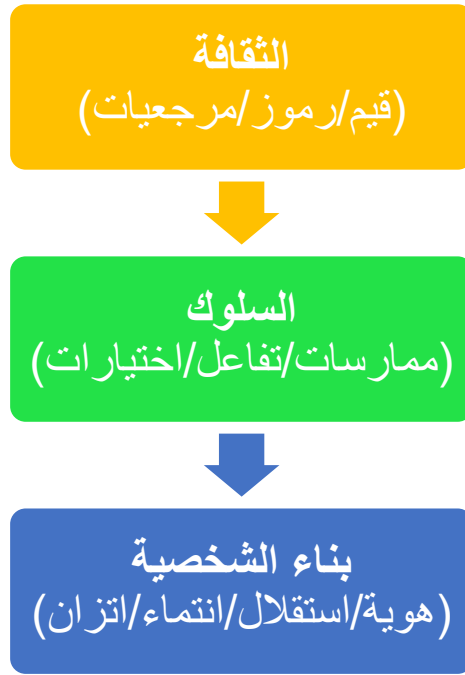
جاء التحول الرقمي ليضيف بيئة ثقافية جديدة أدخلت رموزاً ومعايير مختلفة عن المعايير التقليدية. ومن خلال هذا المسار، يظهر أن الثقافة لم تكن مجرد خلفية اجتماعية، بل كانت القوة التي تعيد تعريف معايير السلوك، وبالتالي تعيد تشكيل الشخصية عبر الزمن. أما السلوك، فيظهر في التحليل بوصفه الوسيط المركزي الذي تنتقل عبره الثقافة من مستوى المعنى إلى مستوى الممارسة. فالقيم لا تتحول إلى شخصية إلا إذا أصبحت سلوكاً متكرراً داخل الحياة اليومية. ومن هنا، فإن التحول في سلوك الأجيال الخليجية يعكس التحول في الثقافة التي تشكلت فيها هذه الأجيال. فحين كانت المرجعية الثقافية التقليدية قوية، كان السلوك الاجتماعي أكثر التزاماً بالمعايير الجماعية وأكثر خضوعاً للرقابة الاجتماعية. وحين بدأت المرجعيات تتعدد، ظهر سلوك تفاوضي أكثر من كونه سلوك امتثال، وارتفعت مساحة الاختيار الفردي. أما في مرحلة الجيل الرقمي، فقد تحول السلوك بصورة نوعية، لأن التفاعل اليومي لم يعد محصوراً في الواقع الاجتماعي المباشر، بل أصبح جزء كبير منه يتم عبر الفضاء الرقمي، ما أدى إلى ظهور أنماط جديدة من التعبير عن الذات، وبناء العلاقات، وتقديم الصورة الاجتماعية، وهو ما انعكس على مفهوم الهوية وعلى أساليب الانتماء.

ويكشف التحليل أن بناء الشخصية يمثل النتيجة التراكمية لهذا المسار؛ فالشخصية ليست قراراً لحظياً، بل حصيلة تراكمية لما يتعلمه الفرد من قيم وما يمارسه من سلوك داخل بيئته. ولذلك تظهر شخصية جيل الثمانينات أكثر ارتباطاً بالهوية الجماعية والانتماء الأسري والاستقرار القيمي، بينما تظهر شخصية جيل التسعينات أكثر مرونة وأقرب إلى التوازن بين مرجعيتين، في حين تظهر شخصية الجيل الرقمي أكثر تعدداً في الهوية وأكثر قابلية للتغير، وأحياناً أكثر عرضة للتوتر المرجعي بسبب تنافس المؤثرات الثقافية. كما يوضح التحليل أن بناء الشخصية لا يتوقف عند إنتاج الهوية فقط، بل يشمل الاستقلالية، وطريقة اتخاذ القرار، والتوافق النفسي، وأساليب التفاعل الاجتماعي.

ومن خلال هذا النموذج، يمكن تفسير التحول الجيلي في الخليج بوصفه انتقالاً في الثقافة ثم انتقالاً في السلوك ثم إعادة تشكيل للشخصية. كما يوضح النموذج أن السلوك لا يترجم الثقافة فقط، بل قد يعيد إنتاجها؛ إذ إن انتشار أنماط سلوكية جديدة لدى الشباب يؤدي تدريجياً إلى تطبيعها اجتماعياً وتحويلها إلى جزء من الثقافة العامة، وهو ما يفسر كيف أصبحت بعض الممارسات الرقمية جزءاً من "المألوف الاجتماعي" بعد أن كانت في بدايتها ظواهر جديدة. وبذلك، يقدم النموذج التفسيري المركزي إطاراً واضحاً لفهم العلاقة بين الثقافة والسلوك وبناء الشخصية

عبر الأجيال في الخليج منذ الثمانينات حتى اليوم، ويمنح التحليل قدرة أعلى على تفسير الفروق الجيلية بدل الاكتفاء بوصفها.

شكل (4): نموذج تفسيري يوضح تأثير الثقافة على السلوك وأثرها في بناء الشخصية عبر الأجيال (الثمانينات - اليوم)



التحليل والمناقشة

المسار التاريخي للتحويلات (1980-2025)

من خلال تحليل المسار التاريخي للتحويلات الكبرى في الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم، يظهر أن بناء الشخصية عبر الأجيال لم يكن نتيجة تغير طبيعي في الزمن فقط، بل كان انعكاسًا مباشرًا لتحويلات بنيوية غيرت طبيعة الثقافة وأعادت تشكيل السلوك اليومي. ويكشف تتبع هذه التحويلات أن المجتمع الخليجي عاش انتقالات متسارعة جعلت الفروق بين الأجيال أكثر حدة مقارنة بمجتمعات أخرى، لأن ما حدث خلال أربعة عقود تقريبًا يعادل في عمقه ما احتاجت مجتمعات أخرى إلى قرن كامل لتحقيقه. ويظهر كذلك أن كل مرحلة تاريخية أنتجت ثقافة مهيمنة لها قيمها ورموزها ومعاييرها، ثم أنتجت سلوكًا يوميًا يترجم تلك الثقافة، ثم انعكس ذلك على بناء الشخصية من حيث الهوية والانتماء والاستقلالية والاتزان. ولذلك فإن بداية التحليل يجب أن تنطلق من فهم هذه

المحطات الكبرى باعتبارها "مفاتيح تفسير" للفروق الجيلية. وتكشف المرحلة الأولى المرتبطة بطفرة النفطية عن تحول حاسم في بنية المجتمع. فقد أدى ارتفاع الدخل وتحسن مستوى المعيشة إلى انتقال سريع من نمط حياة بسيط إلى نمط حياة أكثر رفاهًا واستهلاكًا، ما أعاد تعريف المكانة الاجتماعية وأدخل قيمًا جديدة مرتبطة بالإنجاز المادي وبالوظيفة وبالاستقرار الاقتصادي. ويظهر من التحليل أن جيل الثمانينات تشكل في هذه المرحلة وهو يعيش مفارقة واضحة: ثقافة تقليدية محافظة ما زالت قوية، لكن داخل واقع اقتصادي جديد يفتح خيارات لم تكن متاحة سابقًا. وقد انعكس ذلك على الشخصية في صورة توازن بين الانتماء التقليدي وبين السعي الفردي نحو تحسين المكانة. ثم تكشف مرحلة توسع التعليم عن انتقال ثقافي وسلوكي أكثر عمقًا. فالتعليم لم يكن مجرد اكتساب معرفة، بل أصبح قناة لإعادة تشكيل العقلية الاجتماعية: توسعت مفاهيم الطموح، وارتفع الوعي بالذات، وبدأت تتغير معايير النجاح الاجتماعي من الاعتماد على النسب والقرباة إلى الاعتماد على المؤهل والوظيفة. ويظهر من التحليل أن جيل التسعينات وبداية الألفية تشكل في ظل هذا التحول، فظهرت لديه شخصية أكثر ارتباطًا بالمشروع الفردي وبالتخطيط، وأقل اعتمادًا على الإطار الجماعي مقارنة بالجيل السابق.

وتكشف مرحلة الانفتاح الإعلامي عن تغير ثقافي واضح في المرجعيات الرمزية. فمع الفضائيات ثم المحتوى العالمي، دخلت أنماط جديدة من القيم واللغة والسلوك، وأصبح الشباب يقارنون أنفسهم بنماذج خارج مجتمعهم المحلي. ويظهر من التحليل أن هذه المرحلة كانت مسؤولة عن جزء كبير من ازدواجية الهوية لدى جيل التسعينات، حيث أصبح يعيش بين ثقافة محلية تطلب الالتزام وثقافة إعلامية تقدم الحرية والتنوع والاختيار.

ثم جاءت مرحلة العولمة لتوسع دائرة التأثير الثقافي والاجتماعي. ويظهر أن العولمة لم تدخل فقط عبر الاقتصاد، بل عبر أنماط الحياة والموضة واللغة والذوق العام، ما أدى إلى إعادة تشكيل مفهوم "الذات" لدى الشباب، بحيث أصبحت الذات مشروعًا قابلاً للتطوير وإعادة التقديم. وهذا التحول يفسر بروز نزعة تقديم الذات والبحث عن الاعتراف الاجتماعي بصورة أكبر لدى الأجيال اللاحقة.

ومع دخول الإنترنت، تظهر نقطة تحول نوعية، لأن المعرفة لم تعد حكرًا على المدرسة أو الأسرة، وأصبح الفرد يمتلك مصدرًا مستقلًا للمعلومة والتفاعل، ما أدى إلى تراجع مركزية السلطة التقليدية داخل الأسرة. ثم تضاعف هذا الأثر مع وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أصبح السلوك الاجتماعي مرتبطًا بالحضور الرقمي، وبإدارة الصورة، وبالتفاعل السريع، وأصبح الشباب يعيشون داخل "مجتمع افتراضي" يوازي المجتمع الواقعي ويؤثر فيه. وأخيرًا، تكشف مرحلة

التحول الرقمي عن تغير جذري في بنية التنشئة نفسها. فلم تعد التنشئة تنتقل عبر الأسرة والمدرسة فقط، بل أصبحت التكنولوجيا وسيطاً يومياً لصناعة القيم والسلوك والهوية. ويظهر من التحليل أن الجيل الرقمي تشكل داخل هذه البيئة، فظهرت شخصية أكثر تعدداً في الهوية، وأكثر استقلالاً عن المرجعية الواحدة، وأحياناً أكثر توتراً بسبب تنافس المؤثرات.

شكل (2): خط زمني للتحويلات الاجتماعية والثقافية المؤثرة في الأجيال الخليجية (1980-2025)



التحول الثقافي عبر الأجيال

من خلال تحليل التحول الثقافي عبر الأجيال في الخليج العربي، يظهر أن الثقافة لم تتغير فقط في بعض التفاصيل أو العادات، بل تغيرت في "منطقها الداخلي" الذي يحدد علاقة الفرد بالمجتمع وبالذات. ويكشف تتبع المراحل التاريخية منذ الثمانينات أن الثقافة الخليجية انتقلت من مرجعية جماعية ذات ثبات نسبي إلى مرجعية أكثر تعدداً وتغيراً، وهو ما انعكس بصورة مباشرة على طريقة بناء الشخصية. فالثقافة في جيل الثمانينات كانت تقوم على منظومة قيمية واضحة: الأسرة مركز الهوية، الجماعة مصدر الاعتراف، الالتزام معيار الاحترام، والسلطة الأسرية مرجعية أساسية. وقد انعكس هذا النسق على بناء شخصية تتسم بالانتماء الجمعي والالتزام القيمي، حيث كان الفرد يعرف حدود المقبول والمرفوض بشكل شبه ثابت، وكانت المرجعيات الثقافية تعمل بصورة متجانسة داخل الأسرة والمدرسة والمجتمع.

غير أن التحليل يكشف أن التحول الثقافي بدأ يأخذ طابعاً أعمق مع توسع التعليم والتحضر والانفتاح الإعلامي. ففي مرحلة جيل التسعينات وبداية الألفية، تظهر الثقافة بوصفها "ثقافة انتقالية"، أي أنها لم تعد متجانسة كما في السابق، ولم تصبح حديثة بالكامل، بل أصبحت ثقافة مزدوجة تجمع بين التقليدي والحديث. ويظهر أثر هذا التداخل في أن الشخصية لدى هذا الجيل تميل إلى المرونة، لكنها تحمل في داخلها توتراً مرجعياً؛ فالفرد يتعلم داخل الأسرة قيم الانتماء والالتزام، لكنه يتلقى عبر المدرسة والإعلام قيماً جديدة مرتبطة بالاختيار الفردي والإنجاز الشخصي. وهذا التناقض لا يؤدي دائماً إلى صراع مباشر، لكنه ينتج شخصية تفاوضية تحاول التوفيق بين المرجعيات

بدل الخضوع لمرجعية واحدة. كما يلاحظ أن مفهوم النجاح الاجتماعي تغير تدريجيًا، حيث أصبح مرتبطًا بالمؤهل والوظيفة والمكانة الحديثة، وليس فقط بالانتماء العائلي أو الامتثال الاجتماعي.

أما في مرحلة الجيل الرقمي، فيكشف التحليل عن تحول ثقافي نوعي يمكن وصفه بأنه انتقال من "ثقافة ثابتة" إلى "ثقافة شبكية متغيرة". فالثقافة لم تعد تُنقل فقط عبر الأسرة أو المدرسة، بل أصبحت تُنتج يوميًا داخل الفضاء الرقمي عبر التفاعل مع المحتوى والمنصات والجماعات الافتراضية. ويظهر أن المرجعيات الثقافية لدى هذا الجيل متعددة: مرجعية الأسرة، مرجعية المدرسة، مرجعية الأقران، ومرجعية المنصات الرقمية. ونتيجة لذلك، أصبحت الثقافة أكثر قابلية للتغير، وأصبح الشباب يعيشون حالة من التعدد في المعايير؛ فما هو مقبول داخل الأسرة قد لا يكون مقبولًا داخل المجموعة الرقمية، وما هو محترم اجتماعيًا قد لا يكون هو نفسه معيار الاحترام داخل المنصة. ويكشف التحليل أن هذه التعددية لا تؤدي دائمًا إلى أزمة، لكنها تخلق شخصية أكثر استقلالًا عن المرجعية الواحدة، وأكثر ارتباطًا بمفهوم الذات الفردية، وأحيانًا أكثر حساسية تجاه تقييم الآخرين بسبب قوة "ثقافة الصورة" في البيئة الرقمية.

ومن خلال المقارنة الثقافية بين الأجيال، يظهر أن التغير لم يحدث فقط في القيم، بل في طريقة إنتاج القيم نفسها. ففي جيل الثمانينات، كانت القيم تُنتج من الأعلى إلى الأسفل عبر الأسرة والمجتمع. وفي جيل التسعينات، بدأت القيم تُنتج عبر التفاعل بين الأسرة والمؤسسات الحديثة. أما في الجيل الرقمي، فأصبحت القيم تُنتج عبر شبكات أفقية متعددة، ما يجعلها أكثر سرعة في الانتشار وأقل ثباتًا. وهذا يفسر لماذا تبدو شخصية الجيل الرقمي أكثر تغيرًا وأقل استقرارًا في بعض الجوانب، لأن المرجعية الثقافية نفسها أصبحت متحركة.

كما يكشف التحليل أن التحول الثقافي في الخليج أنتج ثلاث نتائج كبرى على مستوى الشخصية: أولاً، انتقال من هوية جمعية إلى هوية أكثر فردية. ثانيًا، انتقال من انتماء أسري تقليدي إلى انتماء متعدد (أسرة/مجتمع/رقمي). ثالثًا، انتقال من اتزان قيمي قائم على مرجعية واحدة إلى اتزان قيمي يحتاج إلى قدرة على إدارة التعدد. وهذه النتائج لا تعني بالضرورة تراجعًا، بل تعني تحولًا في طبيعة الشخصية وفق شروط العصر.

جدول (3): مقارنة بين التحول الثقافي والتحول السلوكي وأثرهما على بناء الشخصية عبر الأجيال

الجيل الرقمي	جيل التسعينات وبداية الألفية	جيل الثمانينات	البعده
مرجعيات متعددة (أسرة + مؤسسات + رقمية)	مرجعيتان متداخلتان (تقليدي + حديث)	مرجعية واحدة واضحة (الأسرة/العرف)	المرجعية الثقافية
الفردانية، حرية التعبير، الصورة	التوازن، الطموح، التفاوض	الجماعة، الطاعة، الالتزام	القيم المهيمنة
رقمي مكثف وسريع	مختلط (مباشر + إعلامي)	مباشر وجهاً لوجه	أسلوب التواصل
سريع التغير، متنوع	تفاوضي، مرن	منضبط، امثالي	السلوك الاجتماعي
تراجع السلطة التقليدية لصالح المرجعيات الرقمية	مراجعة السلطة والتفاوض معها	احترام السلطة التقليدية	علاقة الفرد بالسلطة
متعددة/رقمية	مزدوجة/مرنة	جمعية واضحة	الهوية
متغير (أسري + رقمي + جماعات اهتمام)	أسري + مؤسسي	أسري/مجتمعي قوي	الانتماء
استقلالية عالية + توتر مرجعي محتمل	مرونة + حساسية للقبول الاجتماعي	مسؤولية + ائزان قيمي اجتماعية	ملامح الشخصية

التحول السلوكي عبر الأجيال

من خلال تحليل التحول السلوكي في المجتمع الخليجي عبر الأجيال، يظهر أن السلوك لم يتغير فقط في شكله الخارجي، بل تغير في منطقته وفي دوافعه وفي علاقته بالثقافة. ويكشف تتبع الحياة اليومية منذ الثمانينات أن السلوك كان في السابق محكومًا بقواعد اجتماعية واضحة، وكان يتشكل داخل مجتمع شديد القرب والتماسك، حيث تلعب

الرقابة الاجتماعية دوراً قوياً في ضبط الممارسة اليومية. ومع التحولات المتسارعة، أصبح السلوك أكثر مرونة وأقل خضوعاً للضبط التقليدي، ثم تحول في المرحلة الرقمية إلى سلوك شديد السرعة والتغير، مرتبط بيئة تواصل جديدة أعادت تعريف مفهوم العلاقات، والخصوصية، والقبول الاجتماعي، بل وأعادت تعريف معنى "الحضور" داخل المجتمع.

ويظهر من التحليل أن سلوك جيل الثمانينات كان يتسم بطابع جماعي واضح. فالفرد كان يتصرف داخل إطار الأسرة والحي والمجتمع القريب، وكانت العلاقات الاجتماعية تقوم على الزيارة المباشرة، والالتزام بالعادات، واحترام الكبار، واعتبار السمعة الأسرية عنصراً أساسياً في توجيه السلوك. وهذا السلوك لم يكن مجرد التزام اجتماعي، بل كان جزءاً من بناء الشخصية، لأنه يرسخ الانضباط والمسؤولية ويجعل الفرد يشعر بأنه ممثل لجماعته لا ممثل لذاته فقط. كما يظهر أن أنماط السلوك في تلك المرحلة كانت أكثر ثباتاً، لأن الثقافة كانت أكثر ثباتاً، ولأن مصادر التأثير كانت محدودة ومتراصة.

أما سلوك جيل التسعينات وبداية الألفية، فيكشف التحليل أنه سلوك "مرحلة انتقال". فالفرد في هذه المرحلة عاش توسعاً في فرص التعليم والعمل، وتوسعاً في العلاقات الاجتماعية خارج دائرة الأسرة، ودخولاً متزايداً للإعلام في تشكيل الذوق العام، ما أدى إلى ظهور سلوك أكثر تفاوضاً. فبدل الامتثال المطلق، أصبح الفرد يختار ويوازن، وبدل الالتزام الصامت، ظهرت مساحة أكبر للتعبير والمناقشة. كما يظهر أن العلاقات الاجتماعية في هذه المرحلة بدأت تتحول تدريجياً من نمط "العلاقة الممتدة" إلى نمط "العلاقة الانتقائية"، حيث لم تعد شبكة العلاقات قائمة فقط على القرابة، بل أصبحت قائمة أيضاً على الدراسة والعمل والاهتمامات. وهذا التحول في السلوك يعكس تغيراً في مفهوم الذات: الذات لم تعد مجرد امتداد للأسرة، بل أصبحت مشروعاً فردياً يبحث عن تحقيق ذاته داخل المجتمع.

ثم يأتي الجيل الرقمي ليكشف التحليل عن تحول سلوكي نوعي يمكن وصفه بأنه انتقال من "سلوك اجتماعي محلي" إلى "سلوك اجتماعي شبكي". ففي هذه المرحلة، أصبح جزء كبير من التفاعل الاجتماعي يتم عبر المنصات الرقمية، وأصبح السلوك مرتبطاً بالحضور الإلكتروني، وبالتفاعل السريع، وبالتعبير المستمر عن الرأي، وإدارة الصورة الاجتماعية. ويظهر أن السلوك لم يعد مرتبطاً فقط بمعايير الأسرة أو المجتمع القريب، بل أصبح مرتبطاً بمعايير جماعات رقمية واسعة، ما أدى إلى تغير في مفهوم الخصوصية، وفي طريقة بناء العلاقات، وفي أساليب الاعتراف الاجتماعي.

كما يظهر أن السلوك اليومي أصبح أكثر سرعة في التغيير، لأن البيئة الرقمية نفسها تقوم على التجدد المستمر، وعلى انتقال سريع للموضات واللغة والرموز. وهذا ينعكس على بناء الشخصية في صورة مرونة عالية، لكنه قد يخلق أيضاً توتراً في الاتزان إذا لم يكن الفرد قادراً على إدارة تعدد المرجعيات.

ويكشف التحليل كذلك أن التحول السلوكي عبر الأجيال ارتبط بثلاث نقاط محورية. النقطة الأولى تتمثل في تغيير أسلوب التواصل: من تواصل مباشر إلى تواصل مختلط ثم إلى تواصل رقمي. النقطة الثانية تتمثل في تغيير مفهوم العلاقات: من علاقات مستقرة ممتدة إلى علاقات أكثر اختياريًا، ثم إلى علاقات شبكية تتشكل بسرعة وتتغير بسرعة. النقطة الثالثة تتمثل في تغيير مفهوم الاعتراف الاجتماعي: ففي السابق كان الاعتراف مرتبطاً بالمكانة داخل الأسرة والمجتمع، ثم أصبح مرتبطاً بالنجاح المؤسسي (تعليم/وظيفة)، ثم أصبح مرتبطاً أيضاً بالصورة الرقمية وعدد التفاعلات والقبول داخل المنصات. ومن خلال هذه القراءة، يظهر أن التحول السلوكي لا يمكن اعتباره "انحرافاً" أو "تراجُعاً"، بل يمثل إعادة تنظيم للعلاقات الاجتماعية وفق سياقات جديدة. كما يظهر أن السلوك في الخليج أصبح أكثر تعبيراً عن الذات، وأكثر ارتباطاً بالاختيار، لكنه في الوقت نفسه أصبح أكثر تعرضاً لضغط المقارنة الاجتماعية بسبب البيئة الرقمية. وهذا يفسر لماذا تظهر لدى بعض أفراد الجيل الرقمي حساسية أكبر تجاه التقييم، وتغير أسرع في المواقف، وبحث دائم عن القبول، وهي خصائص سلوكية تؤثر في بناء الشخصية بصورة مباشرة. وبذلك، يقدم التحليل السلوكي فهماً أعمق للفروق الجيلية، لأنه يوضح أن ما نراه من اختلاف في السلوك هو نتيجة اختلاف في الثقافة وفي دوائر التأثير، وأن بناء الشخصية عبر الأجيال في الخليج هو حصيلة هذا التحول السلوكي المتدرج من الثبات إلى المرونة ثم إلى السرعة الشبكية.

مؤشرات بناء الشخصية عبر الأجيال

من خلال تحليل التحولات الثقافية والسلوكية في الخليج العربي عبر الأجيال، يظهر أن "بناء الشخصية" ليس مفهوماً نظرياً عاماً، بل يمكن رصده عبر مؤشرات واضحة تتغير بتغير المرجعيات الثقافية وأنماط السلوك. ويكشف تتبع هذه المؤشرات أن الشخصية الخليجية لم تتحول في اتجاه واحد ثابت، بل أعادت تشكيل عناصرها وفق طبيعة كل مرحلة تاريخية: فبعض المؤشرات تعززت، وبعضها تراجع، وبعضها تغير في معناه ووظيفته. ولذلك فإن المقاربة التحليلية لبناء الشخصية تحتاج إلى تحديد مؤشرات تساعد على فهم الفروق بين الأجيال بصورة علمية، بدل الاكتفاء بتوصيفات عامة مثل "جيل محافظ" أو "جيل متحرر" أو "جيل رقمي". ويظهر من التحليل أن أهم

مؤشرات بناء الشخصية في الخليج يمكن تلخيصها في الهوية، والانتماء، والاستقلالية، والالتزام النفسي، والمسؤولية الاجتماعية، وطريقة اتخاذ القرار، ونمط العلاقة بالسلطة، وإدارة الذات داخل المجتمع الواقعي والرقمي. ويكشف التحليل أن الهوية تمثل المؤشر الأول والأكثر حساسية للتغير. ففي جيل الثمانينات، كانت الهوية أكثر تجانسًا، لأنها تشكل داخل مرجعية واحدة قوية تتمثل في الأسرة والمجتمع المحلي، لذلك كانت هوية الفرد مرتبطة بصورة واضحة بالعائلة والقبيلة والمكان، وكانت الشخصية تنظر إلى ذاتها ضمن إطار جماعي. أما في جيل التسعينات وبداية الألفية، فقد أصبحت الهوية أكثر مرونة، إذ بدأ الفرد يعيش بين مرجعيتين: مرجعية محلية تقليدية ومرجعية حديثة مرتبطة بالتعليم والإعلام، ما جعل الهوية أقرب إلى "هوية مزدوجة" تسعى إلى التوفيق بين الانتماء التقليدي وبين الطموح الفردي. وفي الجيل الرقمي، يظهر أن الهوية أصبحت متعددة ومتحركة، لأن الفرد أصبح يبنى جزءًا من هويته داخل الفضاء الرقمي، ويعيد تقديم ذاته باستمرار وفق تفاعلات المنصات، وهو ما يجعل الشخصية أكثر ارتباطًا بالصورة الاجتماعية والاعتراف الرمزي. أما الانتماء فيكشف التحليل أنه تغير في شكله ومعناه. ففي السابق كان الانتماء أسريًا ومكانيًا واضحًا، وكانت الشخصية تشعر بأنها جزء من جماعة متماسكة. ثم أصبح الانتماء في مرحلة التسعينات أكثر اتساعًا ليشمل الانتماء المؤسسي (الجامعة/العمل) إلى جانب الانتماء الأسري. وفي المرحلة الرقمية، أصبح الانتماء أكثر سيولة، إذ ظهر الانتماء إلى جماعات اهتمام رقمية، وإلى شبكات اجتماعية عابرة للمكان، ما يجعل الشخصية تعيش أشكالًا متعددة من الانتماء في الوقت نفسه. ويظهر كذلك أن الاستقلالية مؤشر أساسي لفهم التحول في الشخصية الخليجية. ففي جيل الثمانينات كانت الاستقلالية محدودة نسبيًا بسبب قوة الضبط الاجتماعي، وكانت القرارات الكبرى تمر عبر الأسرة. ثم بدأت الاستقلالية ترتفع تدريجيًا مع توسع التعليم والعمل لدى جيل التسعينات، حيث أصبح الفرد أكثر قدرة على اختيار مساره. وفي الجيل الرقمي، ارتفعت الاستقلالية أكثر بسبب توسع الخيارات الرقمية والمعرفية، لكن التحليل يكشف أن هذه الاستقلالية قد تكون "استقلالية شكلية" في بعض الأحيان، لأنها قد ترتبط بالتحرك من الضبط التقليدي دون امتلاك أدوات اتزان ذاتي كافية لإدارة التعدد الثقافي والضغط الرقمي.

ومن المؤشرات المهمة أيضًا الاتزان النفسي، وهو مؤشر يتأثر بتوازن المرجعيات الثقافية. ففي جيل الثمانينات، كان الاتزان مرتبطًا بثبات القيم ووضوح المعايير، ما يوفر للفرد شعورًا بالأمان الاجتماعي. أما في جيل التسعينات، فقد ظهر اتزان قائم على التكيف بين مرجعيتين، وهو اتزان مرن لكنه قد يتعرض للاهتزاز في حالات الصراع القيمي.

وفي الجيل الرقمي، يظهر أن الاتزان النفسي أصبح أكثر عرضة للتحدي بسبب التسارع، وضغط المقارنة الاجتماعية، وتعدد المعايير، ما يجعل الشخصية أحياناً تعيش توتراً بين ما تريده الأسرة وما تفرضه المنصات وما يطمح إليه الفرد. كما يكشف التحليل عن مؤشر المسؤولية الاجتماعية الذي تغير في طريقة حضوره. ففي جيل الثمانينات كانت المسؤولية مرتبطة بالجماعة وبالالتزام الاجتماعي، بينما أصبحت في الأجيال اللاحقة أكثر ارتباطاً بالمشروع الفردي وبالإنجاز، ثم ظهرت في الجيل الرقمي بصورة جديدة مرتبطة بالمشاركة الرقمية والتأثير داخل المنصات.

وفيما يلي جدول يلخص أهم مؤشرات بناء الشخصية عبر الأجيال:

جدول (4): مؤشرات بناء الشخصية في المجتمع الخليجي عبر الأجيال

المؤشر	دلالتة	أثره على الشخصية	أمثلة سلوكية
الهوية	كيف يعرف الفرد ذاته	تحدد معنى الذات واستقرارها	تعريف الذات بالعائلة/المهنة/المنصة
الانتماء	علاقة الفرد بالجماعة	يحدد الولاء والالتزام	الانتماء للأسرة/الجامعة/جماعات رقمية
الاستقلالية	قدرة الفرد على الاختيار	تقوي القرار الذاتي أو تضعفه	اختيار التخصص/العمل/نمط الحياة
الاتزان النفسي	توازن الذات مع الضغوط	يحدد الاستقرار والتوافق	الثبات/القلق/تذبذب المواقف
المسؤولية الاجتماعية	علاقة الفرد بالمجتمع	تقوي روح الالتزام	المشاركة المجتمعية/التطوع/التفاعل الرقمي
اتخاذ القرار	أسلوب الاختيار	يعكس نضج الشخصية	قرار فردي/قرار أسري/قرار متأثر بالمنصات
العلاقة بالسلطة	تصور الفرد للضبط	يحدد الامتثال أو التفاوض	احترام/نقاش/رفض
إدارة الذات الرقمية	التعامل مع الصورة الرقمية	تؤثر على تقدير الذات	نشر المحتوى/البحث عن التفاعل/إدارة السمعة

تفسير نتائج التحليل وربطها بالمؤشرات

ن خلال ربط نتائج التحليل الثقافي والسلوكي بمؤشرات بناء الشخصية، يتضح أن التحول الجيلي في الخليج العربي لم يكن مجرد انتقال من "قديم" إلى "جديد"، بل كان انتقالاً في طريقة إنتاج المعنى داخل المجتمع، وفي طريقة صناعة السلوك، ثم في طريقة تشكل الشخصية. ويكشف هذا الربط أن الشخصية الخليجية عبر الأجيال تشكلت وفق ثلاثة محركات كبرى: وضوح المرجعية أو تعددها، قوة الضبط الاجتماعي أو تراجعها، وطبيعة الفضاء الذي يتفاعل فيه الفرد (واقعي أو رقمي). وعند النظر إلى هذه المحركات، يظهر أن كل جيل عاش توزيعاً مختلفاً لها، ولذلك تشكلت شخصيته بصورة مختلفة، لا لأن جيلاً أفضل من آخر، بل لأن شروط التنشئة والبيئة الثقافية تغيرت بصورة جذرية.

ويكشف التحليل أن مؤشر الهوية يمثل أكثر المؤشرات تعبيراً عن التحول. ففي جيل الثمانينات، كانت الهوية واضحة ومتماسكة لأنها تُبنى داخل إطار اجتماعي ثابت نسبياً، حيث كان الفرد يعرف نفسه من خلال الأسرة والمكان والعلاقات المباشرة. ومع مرور الزمن، لم تحتف هذه العناصر، لكنها فقدت احتكاكها لتعريف الذات. ففي جيل التسعينات وبداية الألفية، أصبح الفرد يعيش هوية مركبة بين مرجعية الأسرة ومرجعية المؤسسة التعليمية والإعلام، ما جعل الهوية أكثر مرونة لكنها أقل تجانساً. وفي الجيل الرقمي، أصبح تعريف الذات أكثر ارتباطاً بالتمثيل الرقمي وبالصورة الاجتماعية، ما يجعل الهوية قابلة للتغير بسرعة، وأحياناً أكثر عرضة للتذبذب. ويظهر من خلال هذا المسار أن الهوية لم تتراجع، بل تغيرت وظيفتها: من هوية تُمنح للفرد إلى هوية يصنعها الفرد ويعيد إنتاجها باستمرار. أما مؤشر الانتماء فيكشف التحليل أنه انتقل من انتماء ثابت إلى انتماء متعدد. ففي جيل الثمانينات، كان الانتماء يتركز في الأسرة والمجتمع المحلي، وكان الفرد يشعر بأن الانتماء ليس خياراً بل جزءاً من وجوده. وفي جيل التسعينات، اتسع الانتماء ليشمل المؤسسة التعليمية والوظيفية، وظهر شعور متزايد بأن الانتماء يمكن أن يتشكل عبر الإنجاز والتفوق. أما في الجيل الرقمي، فأصبح الانتماء أكثر سيولة، إذ ظهر الانتماء إلى جماعات اهتمام رقمية، وإلى شبكات لا ترتبط بالمكان. ويكشف هذا التحول أن الانتماء لم يعد مرتبطاً فقط بالجغرافيا أو القرابة، بل أصبح مرتبطاً بالاهتمام المشترك وبالهوية الرقمية، وهو ما يعيد تشكيل الشخصية من حيث علاقة الفرد بالجماعة.

ويظهر التحليل كذلك أن الاستقلالية ارتفعت عبر الأجيال، لكن معنى الاستقلالية تغير. ففي السابق كانت الاستقلالية محدودة بسبب قوة الضبط الاجتماعي، وكانت القرارات تمر عبر الأسرة. ثم أصبحت الاستقلالية في

مرحلة التسعينات مرتبطة بالاختيار التعليمي والمهني، أي استقلالية واقعية تشكل داخل المؤسسات الحديثة. أما في الجيل الرقمي، فارتفعت الاستقلالية بسبب كثرة الخيارات الرقمية والمعرفية، لكن التحليل يكشف أن هذه الاستقلالية قد تصبح أحياناً استقلالية غير مستقرة، لأنها تقوم على تعدد الخيارات أكثر مما تقوم على وضوح المرجعية. وهذا يفسر لماذا يظهر لدى بعض الشباب تردد في اتخاذ القرار أو تغير سريع في المواقف؛ لأن كثرة الخيارات تضعف الثبات، ولأن المرجعيات المتنافسة تجعل القرار أكثر تعقيداً. أما مؤشر الاتزان النفسي فيكشف التحليل أنه مرتبط بدرجة وضوح المعايير الثقافية. فحين كانت المرجعية واحدة، كان الاتزان أعلى لأن الفرد يعرف ما يتوقعه المجتمع منه. ومع تعدد المرجعيات، أصبح الاتزان يتطلب قدرة على إدارة التعدد. وفي الجيل الرقمي، يظهر أن الاتزان النفسي يواجه تحديات إضافية بسبب ضغط المقارنة الاجتماعية، وسرعة التفاعل، وتغير المعايير داخل المنصات، ما يجعل الشخصية أكثر حساسية للتقييم وأكثر عرضة للتوتر. ويكشف هذا أن التحدي الحقيقي في المرحلة الرقمية ليس وجود التكنولوجيا بحد ذاته، بل أثرها في إعادة تعريف المعايير وفي جعل الفرد يعيش داخل تقييم مستمر.

ويبرز من خلال الربط بين المؤشرات أيضاً أن المسؤولية الاجتماعية تغيرت من مسؤولية قائمة على الجماعة إلى مسؤولية أكثر فردية. ففي السابق كانت المسؤولية تعني الالتزام بالعائلة والمجتمع، أما اليوم فقد أصبحت المسؤولية مرتبطة بالمشروع الفردي وبالنجح الشخصي، ثم ظهرت في المرحلة الرقمية صورة جديدة للمسؤولية من خلال التأثير الرقمي والمشاركة الإلكترونية. وهذا التحول لا يعني تراجع المسؤولية، بل يعني انتقالها من شكل إلى شكل. ومن خلال هذه المناقشة، يظهر أن التحولات الثقافية والسلوكية أنتجت شخصية خليجية أكثر تعدداً في الهوية وأكثر استقلالاً في القرار، لكنها في الوقت نفسه تواجه تحدياً في الاتزان بسبب تعدد المرجعيات وتسارع التغير. ولذلك فإن الفروق الجيلية لا يمكن قراءتها كصراع، بل كاختلاف في شروط بناء الشخصية داخل سياقات ثقافية وسلوكية متغيرة.

#### خلاصة التحليل والمناقشة

من خلال ما سبق من تحليل ومناقشة للتحولات الثقافية والسلوكية في الخليج العربي عبر الأجيال منذ الثمانينات حتى اليوم، يظهر أن الفروق الجيلية ليست ظاهرة سطحية يمكن اختزالها في اختلافات في اللغة أو المظهر أو أسلوب الحياة، بل تمثل تغيراً عميقاً في شروط بناء الشخصية داخل المجتمع. ويكشف تتبع المسار التاريخي أن الثقافة الخليجية مرت بانتقالات متتابعة أعادت تعريف القيم والمعايير، ثم انعكس ذلك على السلوك اليومي للأفراد، ثم على تشكل الشخصية من حيث الهوية والانتماء والاستقلالية والاتزان. كما يظهر أن كل جيل لا يحمل فقط "سمات" مختلفة،

بل يحمل "منطقاً ثقافياً" مختلفاً في تفسير العالم وفي بناء الذات، وهو ما يجعل التوتر بين الأجيال في كثير من الأحيان نتيجة اختلاف المرجعيات أكثر مما هو نتيجة سوء نية أو ضعف أخلاقي.

ويكشف التحليل أن جيل الثمانينات تشكل في سياق ثقافي أكثر ثباتاً ووضوحاً، حيث كانت الأسرة والمؤسسات التقليدية تعمل بصورة متجانسة في نقل القيم وضبط السلوك، ما أدى إلى بناء شخصية تميل إلى الهوية الجماعية والانتماء القوي والالتزام الاجتماعي. وفي المقابل، يظهر أن جيل التسعينات وبداية الألفية تشكل في مرحلة انتقالية اتسمت بتعدد المؤثرات وازدواجية المرجعيات، فكانت الشخصية أكثر مرونة وأكثر قدرة على التفاوض مع القيم، لكنها في الوقت نفسه أكثر عرضة للتوتر القيمي بسبب الجمع بين ثقافتين: ثقافة تقليدية وثقافة حديثة. أما الجيل الرقمي، فيكشف التحليل أنه تشكل داخل بيئة ثقافية جديدة لا تقتصر على الواقع الاجتماعي المباشر، بل تشمل الفضاء الرقمي بوصفه بيئة نشئة وإنتاج قيم وسلوك. ونتيجة لذلك، ظهرت شخصية أكثر استقلالاً وأسرع تغيراً وأكثر تعدداً في الهوية والانتماء، لكنها تواجه تحدياً واضحاً في الاتزان بسبب ضغط المقارنة الاجتماعية وتنافس المرجعيات.

ويظهر من المناقشة أن التحول الرقمي لم يكن مجرد عامل إضافي، بل شكل نقطة تحول نوعية في علاقة الثقافة بالسلوك. ففي المراحل السابقة، كانت الثقافة تُنقل غالباً عبر مؤسسات واضحة (الأسرة/المدرسة/الإعلام التقليدي)، وكانت عملية انتقال القيم أكثر قابلية للضبط. أما في المرحلة الرقمية، فقد أصبحت الثقافة تُنتج يومياً داخل الشبكات، وأصبحت المعايير تتغير بسرعة، وأصبح السلوك أكثر ارتباطاً بالظهور والتفاعل وبالصورة الاجتماعية، ما أدى إلى إعادة تشكيل الهوية بصورة متحركة. وهذا يفسر لماذا تبدو الشخصية لدى الجيل الرقمي أكثر ارتباطاً بتقديم الذات، وأكثر حساسية للتقييم، وأكثر عرضة للتذبذب في بعض الاتجاهات، لأن البيئة الثقافية التي تشكلت فيها الشخصية لم تعد بيئة ثابتة بل بيئة متغيرة. كما يكشف التحليل أن العلاقة بين الثقافة والسلوك والشخصية ليست علاقة خطية بسيطة، بل علاقة تفاعلية. فالثقافة تنتج السلوك، والسلوك يعيد إنتاج الثقافة تدريجياً، ثم تشكل الشخصية داخل هذا التفاعل المستمر. وهذا يعني أن التحول الجيلي في الخليج لا يمكن تفسيره بوصفه "انقطاعاً" كاملاً مع الماضي، بل بوصفه إعادة ترتيب للقيم والمعايير داخل سياقات جديدة. فالكثير من القيم التقليدية ما زالت حاضرة، لكنها لم تعد المرجعية الوحيدة، بل أصبحت تتفاعل مع قيم جديدة قادمة من التعليم والإعلام والفضاء

الرقمي. ونتيجة ذلك، أصبحت الشخصية الخليجية الحديثة تعيش داخل توازنات جديدة، بعضها إيجابي مثل ارتفاع الوعي بالذات والاستقلالية، وبعضها يحمل تحديات مثل التوتر المرجعي وضعف الاستقرار القيمي في بعض الحالات. وتكشف هذه الخلاصة أن فهم الفروق بين الأجيال في الخليج يتطلب تجاوز القراءة الأخلاقية أو الانطباعية، والانتقال إلى قراءة تحليلية تفسر الظاهرة في ضوء شروط التنشئة والتحويلات الثقافية والسلوكية. كما يظهر أن معالجة الفجوة الجيلية لا يمكن أن تعتمد على اللوم أو الإدانة، بل على بناء فهم علمي يحدد مصادر التحول ويشرح آلياته، بما يسمح بتطوير مقاربات تربوية واجتماعية أكثر وعياً بطبيعة الشخصية الخليجية المعاصرة. وبذلك تمثل هذه الخلاصة تمهيداً مباشراً للانتقال إلى قسم النتائج والتوصيات، حيث سيتم تلخيص المخرجات الأساسية للتحليل في نقاط واضحة قابلة للاستخدام العلمي والتطبيقي.

#### النتائج

من خلال التحليل الممتد للتحويلات الثقافية والسلوكية في الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم، أمكن الوصول إلى مجموعة من النتائج التي تفسر آليات بناء الشخصية عبر الأجيال، وتوضح أن الاختلاف الجيلي ليس مجرد اختلاف في المظهر أو اللغة أو الاهتمامات، بل هو اختلاف في السياق الثقافي الذي صاغ القيم، وفي البيئة الاجتماعية التي أعادت تشكيل السلوك، ثم في الطريقة التي تشكلت بها الهوية والانتماء والاستقلالية والالتزام النفسي. وتظهر النتيجة الأولى في أن التحول الجيلي في الخليج ارتبط بصورة مباشرة بسرعة التحول الاجتماعي؛ إذ إن التغيير الذي عاشته المنطقة خلال عقود قليلة أدى إلى انتقالات متتابة في المرجعيات، ما جعل الأجيال تتشكل داخل بيئات ثقافية متباينة جذرياً، وهو ما يفسر اتساع الفجوة بينها مقارنة بمجتمعات ذات تحول أبطأ. وتكشف النتائج أن الثقافة الخليجية انتقلت من مرجعية واحدة واضحة في الثمانينات إلى مرجعيات مزدوجة في التسعينات وبداية الألفية، ثم إلى مرجعيات متعددة في الجيل الرقمي. ويظهر أن هذه التعددية لم تؤثر فقط في القيم، بل أثرت في مفهوم الذات ذاته؛ فبينما كانت الذات في الثقافة التقليدية تُفهم داخل إطار الجماعة، أصبحت الذات في الثقافة الحديثة تُفهم داخل إطار المشروع الفردي، ثم أصبحت الذات في الثقافة الرقمية تُفهم داخل إطار “الصورة” و”الحضور” و”التفاعل”. وتوضح هذه النتيجة أن بناء الشخصية في الخليج أصبح أكثر تعقيداً لأنه لم يعد محكوماً بمرجعية واحدة، بل أصبح يحتاج إلى إدارة تعدد المرجعيات.

كما تكشف النتائج أن السلوك يمثل الوسيط الأكثر حساسية للتحوّل الثقافي. فالثقافة لا تُلاحظ إلا عبر السلوك، والسلوك يعكس طريقة استيعاب القيم أو تعديلها. ويظهر أن جيل الثمانينات مارس سلوكًا اجتماعيًا قائمًا على الامتثال والالتزام والرقابة الاجتماعية، بينما مارس جيل التسعينات سلوكًا تفاوضيًا قائمًا على المرونة والاختيار، في حين مارس الجيل الرقمي سلوكًا شبكيًا سريع التغير قائمًا على التفاعل الرقمي وإدارة الصورة الاجتماعية. وتوضح هذه النتيجة أن السلوك في الخليج لم يتحوّل فقط في الشكل، بل تحوّل في المنطق: من منطق الجماعة إلى منطق الاختيار ثم إلى منطق الشبكة. وتكشف النتائج كذلك أن بناء الشخصية عبر الأجيال تغير في أربعة مؤشرات مركزية. المؤشر الأول هو الهوية؛ حيث انتقلت من هوية جمعية واضحة إلى هوية مرنة ثم إلى هوية متعددة ورقمية. المؤشر الثاني هو الانتماء؛ حيث انتقل من انتماء ثابت للأسرة والمكان إلى انتماء مؤسسي ثم إلى انتماء سيّال قائم على الاهتمام والشبكات. المؤشر الثالث هو الاستقلالية؛ حيث ارتفعت تدريجيًا، لكنها في المرحلة الرقمية أصبحت أحيانًا استقلالية متأثرة بضغوط الخيارات وتعدد المعايير. المؤشر الرابع هو الاتزان النفسي؛ حيث كان أكثر استقرارًا في بيئة المرجعية الواحدة، ثم أصبح يتطلب قدرة أعلى على التكيف في بيئة المرجعيتين، ثم أصبح أكثر عرضًا للتوتر في بيئة المرجعيات المتعددة والضغط الرقمي.

وتشير النتائج أيضًا إلى أن دوائر التأثير في بناء الشخصية أعادت ترتيب قوتها عبر الزمن. ففي السابق كانت الأسرة هي الدائرة الأقوى، ثم بدأت المدرسة والإعلام يشاركانها التأثير، ثم أصبحت التكنولوجيا الرقمية دائرة مركزية تنافس الجميع. ويظهر أن هذا التحوّل أدى إلى تراجع احتكار الأسرة للتنشئة، لكنه لم يلغ دورها، بل جعل دورها أكثر صعوبة لأنها أصبحت تعمل داخل بيئة منافسة، ما يفرض عليها الانتقال من الضبط المباشر إلى الإرشاد والتوجيه وبناء الوعي.

وتخلص النتائج إلى أن الفجوة الجيلية في الخليج لا تمثل صراعًا طبيعيًا فقط، بل تمثل اختلافًا في المنطق الثقافي الذي يوجه السلوك. ولذلك فإن التعامل مع هذه الفجوة لا ينجح عبر اللوم أو التعميم، بل عبر فهم علمي يربط التحوّل في الشخصية بالتحوّل في الثقافة والسلوك. وبناءً على ذلك، تمثل هذه النتائج قاعدة تفسيرية للانتقال إلى التوصيات التي يمكن أن تسهم في تقليل الفجوة وتعزيز الاتزان القيمي والنفسي لدى الأجيال الصاعدة.

## التوصيات

انطلاقاً من النتائج التي كشفها التحليل حول تأثير الثقافة والسلوك في بناء الشخصية عبر الأجيال في الخليج العربي، تبرز مجموعة من التوصيات التي يمكن أن توجه المؤسسات الاجتماعية والتربوية والثقافية نحو مقاربات أكثر واقعية وفعالية في التعامل مع التحول الجيلي. وتقوم التوصية الأولى على ضرورة الانتقال من التعامل مع الفجوة الجيلية بوصفها "أزمة أخلاقية" إلى التعامل معها بوصفها "تحولاً بنوياً" في المرجعيات الثقافية وفي بيئات التنشئة. فالمقاربة الأخلاقية وحدها لا تفسر الظاهرة ولا تعالجها، بينما المقاربة التحليلية تساعد على فهم أسبابها وبناء تدخلات أكثر عقلانية.

وتتمثل التوصية الثانية في تعزيز دور الأسرة بوصفها مؤسسة ثقافية مرنة، لا بوصفها سلطة ضبط فقط. ويظهر أن التحدي الحقيقي أمام الأسرة في المرحلة الرقمية ليس فقدان التأثير بالكامل، بل فقدان القدرة على مواكبة البيئة الجديدة. ولذلك يحتاج الدور الأسري إلى تطوير أدوات جديدة تقوم على الحوار، وبناء الثقة، وتعزيز الوعي النقدي لدى الأبناء، بدل الاعتماد فقط على المنع أو الرقابة. كما يُوصى بتطوير برامج تدريبية وإرشادية للأسر تساعد على فهم خصائص الجيل الرقمي، وكيفية التعامل مع أثر المنصات على الهوية والسلوك.

أما التوصية الثالثة فتتعلق بالمؤسسة التعليمية، حيث يبرز دور المدرسة والجامعة في بناء الشخصية عبر تعزيز مهارات التفكير النقدي، والالتزان النفسي، وإدارة الذات الرقمية. فالتعليم لا ينبغي أن يقتصر على المعرفة الأكاديمية، بل يجب أن يتوسع ليشمل مهارات التعامل مع الضغط الرقمي، والتميز بين القيم، وبناء الهوية بشكل متوازن. ويظهر أن الاستثمار في التربية الرقمية أصبح ضرورة، لأن الجيل الرقمي يعيش جزءاً كبيراً من حياته داخل فضاء افتراضي يؤثر في السلوك والاتجاهات.

وتتمثل التوصية الرابعة في إعادة بناء الخطاب الثقافي والإعلامي في الخليج بصورة تتناسب مع واقع التحول الجيلي. فالإعلام ليس ناقلاً للمحتوى فقط، بل منتج للمعايير والرموز، وله تأثير مباشر على السلوك وعلى صورة الذات. لذلك يُوصى بتوجيه الإعلام نحو تقديم نماذج إيجابية واقعية للشباب، لا نماذج استهلاكية أو مثالية تؤدي إلى ضغط المقارنة. كما يُوصى بتعزيز المحتوى الذي يدعم الهوية والانتماء بصورة متوازنة دون أن يعادي التحول أو يرفضه.

أما التوصية الخامسة فتتعلق بالمؤسسات الشبابية والثقافية، حيث يبرز دورها في توفير فضاءات آمنة تساعد الشباب على بناء مشروع ذاتي متوازن. ويظهر أن الشباب يحتاجون إلى بيئات بديلة عن الفضاء الرقمي الخالص، بيئات

تسمح بالمشاركة الواقعية، وبالتفاعل الاجتماعي المباشر، وبناء مهارات الانتماء والمسؤولية. ومن هنا يُوصى بتطوير البرامج الثقافية والرياضية والتطوعية التي تعزز الهوية الإيجابية، وتمنح الشباب فرصًا لتجربة الذات خارج ضغط المنصات.

وتتمثل التوصية السادسة في ضرورة إدماج مفهوم "التوازن بين المرجعيات" ضمن السياسات التربوية والثقافية. فالشباب لا يعيشون في ثقافة واحدة، بل في ثقافات متعددة. ولذلك فإن الهدف الواقعي ليس إلغاء التأثير الرقمي أو العودة إلى الماضي، بل بناء قدرة لدى الشباب على إدارة التعدد الثقافي دون فقدان الاتزان. وهذا يتطلب برامج توجيهية تدعم مهارات الاختيار، وتحليل المحتوى، وإدارة الوقت الرقمي، والتمييز بين القيم الأصيلة والقيم المؤقتة. وأخيرًا، يُوصى بتشجيع الدراسات المستقبلية التي تعمق فهم التحول الجيلي في الخليج عبر مقاربات نوعية وميدانية، لأن التحول ما زال مستمرًا، ولأن بناء الشخصية في المرحلة الرقمية يتغير بسرعة. كما يُوصى بتطوير نماذج تفسيرية أكثر تفصيلاً تربط بين الثقافة والسلوك والشخصية داخل السياق الخليجي، بما يدعم صناع القرار والمؤسسات في بناء تدخلات تربوية واجتماعية أكثر فعالية.

#### الخاتمة

تُظهر خلاصة هذا البحث أن التحولات التي عرفتها مجتمعات الخليج العربي منذ الثمانينات حتى اليوم لم تكن تحولات سطحية مرتبطة بالمظهر أو أسلوب الحياة فقط، بل كانت تحولات عميقة مست البنية الثقافية وأعدت تشكيل السلوك، ثم انعكست على بناء الشخصية عبر الأجيال المتعاقبة. وقد كشف التحليل أن فهم الشخصية الخليجية لا يمكن أن يتم بمعزل عن فهم السياق التاريخي والاجتماعي الذي أنتجها، لأن الشخصية ليست كيانًا ثابتًا يولد مكتملاً، بل بناء اجتماعي يتشكل تدريجيًا داخل منظومة من القيم والمعايير والسلوكيات التي يتعلمها الفرد عبر التنشئة والتفاعل.

ويبرز من هذا البحث أن الثقافة كانت نقطة الانطلاق الأساسية في التحول، لأنها التي تحدد مرجعية المجتمع ومعايير وموزة. فحين كانت الثقافة التقليدية أكثر ثباتًا، كان السلوك أكثر التزامًا، وكانت الشخصية أكثر اتزانًا ضمن مرجعية واحدة. ومع توسع التعليم والانفتاح الإعلامي والعولمة، بدأت المرجعيات تتعدد، فظهر سلوك تفاوضي، وبدأت الشخصية تتشكل داخل توازنات جديدة تجمع بين قيم موروثه وقيم حديثة. ثم جاءت المرحلة الرقمية لتفتح بيئة ثقافية جديدة غيرت طبيعة التفاعل الاجتماعي، وجعلت السلوك مرتبطًا بالشبكات والحضور الرقمي وإدارة

الصورة، ما أدى إلى بروز شخصية أكثر استقلالاً وأكثر تعدداً في الهوية والانتماء، لكنها تواجه تحديات مرتبطة بسرعة التغير وتنافس المرجعيات وضغط المقارنة الاجتماعية.

وقد بيّن البحث أن الفروق الجيلية في الخليج ليست ظاهرة طبيعية فقط، بل انعكاس مباشر لاختلاف بيئات التنشئة ودوائر التأثير. فجيل الثمانينات تشكل داخل أسرة قوية ومجتمع متماسك ومرجعياً واضحة، بينما عاش جيل التسعينات مرحلة انتقالية حملت ازدواجية مرجعية، أما الجيل الرقمي فقد تشكل داخل بيئة متعددة المرجعيات تهيمن فيها التكنولوجيا كدائرة تأثير مركزية. ويكشف ذلك أن الفجوة بين الأجيال ليست صراعاً حتمياً، بل اختلاف في المنطق الثقافي الذي يوجه السلوك ويحدد معنى الهوية والانتماء والاستقلال.

كما يبرز من الخاتمة أن التعامل مع التحول الجيلي يحتاج إلى وعي علمي يرفض التعميم واللوم، ويعتمد على فهم بنية التحول الثقافي والسلوكي. فالجيل الرقمي لا يمثل بالضرورة تراجعاً، بل يمثل انتقالاً إلى نمط جديد من بناء الذات داخل مجتمع متغير. وفي المقابل، فإن الحفاظ على الاتزان القيمي والنفسي لدى الأجيال الصاعدة يتطلب بناء قدرة على إدارة التعدد المرجعي، وتعزيز دور الأسرة والمؤسسات التعليمية والثقافية في توجيه الشباب نحو فهم الذات وتطوير مهارات الاختيار والتفكير النقدي. وفي ضوء ذلك، يقدم البحث إطاراً تحليلياً يساعد على تفسير التحولات الجيلية في الخليج بوصفها مساراً تاريخياً متغيراً، لا مجرد اختلافات في الطابع. كما يفتح المجال أمام دراسات لاحقة أكثر تفصيلاً يمكن أن تتناول التحول الجيلي في دول خليجية محددة، أو تدرس تأثير المنصات الرقمية على الهوية بصورة أعمق، أو تربط التحول السلوكي بتغيرات نفسية واجتماعية لدى الشباب. وبذلك، تظل دراسة تأثير الثقافة والسلوك على بناء الشخصية عبر الأجيال مدخلاً أساسياً لفهم المجتمع الخليجي المعاصر، ولتطوير سياسات تربية وثقافية تدعم التوازن بين الأصالة والتحديث، وتبني شخصية قادرة على التفاعل الإيجابي مع متغيرات العصر.

## قائمة المراجع

### مراجع عربية:

- 1) الجابري، محمد عابد. (1991). تكوين العقل العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- 2) الحيدري، إبراهيم. (2008). سوسيولوجيا الثقافة. بيروت: دار الساقبي.
- 3) الخولي، سناء. (2002). علم الاجتماع والأسرة. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
- 4) عبد الله، عبد الرحمن. (2010). التحولات الاجتماعية في دول الخليج العربي: قراءة سوسيولوجية. مجلة العلوم الاجتماعية، 38(2)، 55-89.
- 5) العبدلي، خالد. (2018). الشباب الخليجي والهوية في زمن العولمة الرقمية. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، 44(170)، 115-150.
- 6) الكبيسي، عبد الله. (2016). التحول القيمي لدى الشباب في دول الخليج. مجلة شؤون اجتماعية، 33(131)، 9-38.
- 7) يوسف، محمد. (2020). شبكات التواصل الاجتماعي وتغير أنماط السلوك لدى الشباب الخليجي. مجلة الإعلام والاتصال، 12(1)، 77-102.

### مراجع أجنبية

- 1) برونفنبرنر، أوري. (1979). إيكولوجيا النمو الإنساني: تجارب الطبيعة والتصميم. كامبريدج: مطبعة جامعة هارفارد.
- 2) كاستلز، مانويل. (2010). صعود مجتمع الشبكات (الطبعة الثانية). أكسفورد: وايلي-بلاكويل.
- 3) جيدنز، أنتوني. (1991). الحدائثة والهوية الذاتية: الذات والمجتمع في العصر الحديث المتأخر. كامبريدج: بوليتي برس.
- 4) مانهايم، كارل. (1952). مشكلة الأجيال. في: مقالات في سوسيولوجيا المعرفة. لندن: روتليدج.
- 5) توركل، شيري. (2011). وحيدون معًا: لماذا نتوقع المزيد من التكنولوجيا وأقل من بعضنا البعض. نيويورك: بيسك بوكس.